The phenomenon of omission in Maqamat Al-Hariri (d. 516 AH)

A Textual and Grammatical study

Assist. prof. Basil Mohammed Mohe Al-Deen (Phd.)
Al-Mustansiriyah University/College of Arts/Arabic Language Department
basil.mohi@uomustansiriyah.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v2i143.3914

Abstract:

The omission is one of the units of brevity in the Arabic language. Arabs uses omission in the singular, and plural forms and in the letters and the Diacritics (short vowel forms), and it does not occur except with evidences indicating it, and the early Arabic scholars have been aware of that, its ultimate goal is to request an abbreviation that does not violate the meaning, if the deleted (letters, words, sentences) occur, the speech would lose its status ,eloquence and goodness Deletion is a textual phenomenon that has an effective impact on the consistency of the text and the coherence of its elements.

The objective of this research is to monitor the phenomenon of omission in a linguistic blog, Maqamat Al-Hariri (d. 526 AH), which includes texts from language anecdotes, and anecdotes of structures, and phrases in a rhyming style and a rich glossary of vocabulary.

Besides, shedding light on the omission and concealing (axis of the study) due to their importance in the textual and syntactic studies because omission is not only brevity and mitigation Due to frequent rotation of the words in their speech, nevertheless, the purpose of it is to amplify and glorify because of the delusion that it contains.

The research adopted a presentation of selected texts from the Maqamat Al-Hariri, especially the omitted ones in which there are multiple omissions between a noun, a verb, a letter, sentences and structures with incomplete meaning and their grammatical analysis as well as highlighting the textual dimensions of these selected texts.

Keywords: The phenomenon of omission, textual consistency, Maqamat al-Hariri

ظاهرة الحذف في مقامات الحريري (٥١٦هـ) دراسة نحوية نصية

أ.م.د باسل محمد محيي الدين
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب
قسم اللغة العربية

(مُلَخَّصُ البَحث)

يعدُّ الحذف باباً وضرباً من الايجاز في العربية فقد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، ولا يقع الا بدليل يدّلُ عليه. وقد تنبه علماء العربية الأوائل لذلك، غايته القصوى طلب الاختصار بما لا يُخلُّ بالمعنى، ولو بانَ المحذوف لفقد الكلام منزلته وبلاغته وحسنه، والحذف ظاهرة نصّية لها أثر فعّال في اتّساق النصّ وترابط عناصره. والغاية المتوخاة من هذا البحث رصد ظاهرة الحذف في مدوّنة لغوية هي مقامات الحريري (ت ٥١٦هـ)، التي تضمّ نصوصاً منْ شوارد اللغة ونوادر التركيب والعبارة بأسلوب مسجوع ومعجم زاخر بكثير من المفردات.

وتسليط الضوء على الحذف والإضمار – محوراً للدراسة – لأهميتهما في الدراسة النحوية والنصّية، فالحذف ليس مجرد الاختصار والتخفيف لكثرة دوران الألفاظ في كلامهم؛ بل الغرض منه التفخيم والإعظام لِما فيه من الإبهام... وتبنى البحث عرضاً لنصوص مختارة من مقامات الحريري، ولاسيما تلك التي تعدّدَ المحذوف فيها ما بين اسم وفعل وحرف وجمل وتراكيب غير تامة المعنى وتحليلها نحوياً فضلاً عن إبراز الأبعاد النصيّة لهذه النصوص المختارة.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة الحذف– الاتساق النصي – مقامات الحريري

مقدمة

اللهمّ نحمدُكَ على ما علَمت من الفصاحة والبيان، وما ألهمتنا من التبيان، ونَحمدُكَ على ما أتممت وأكملت من العطاء وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته العدول المتقين وبعد:

الحذف إحدى الظواهر اللغوية التي تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية بيدَ أنّها في العربية أكثر وضوحاً ورسوخاً، ومَرَدُّ ذلك؛ ميل العربية الى الإيجاز والاختصار، والحذف يتعدى الكلمة الى حذف الجملة ولا يكون إلاّ بدليل، وهو بابٌ دقيق المسلك في العربية، وأحد طرَفي الإيجاز وهما : القَصر والحَذف. وقد تنبّه النحاة الأوائل إلى هذه الظاهرة وسموها بالإضمار والاختصار والحذف. وميل اللسان العربي إلى إيجاز العبارة ولاسيما علم

المخاطب وقدرته على أرجاع المحذوف وتأويل ما أضمر من الكلام بما دلّت عليه القرائن سواء كانت مقالية أو مقامية وهو ما أشار إليه البحث اللساني المعاصر.

سلط البحث الضوء على أحد أسفار العربية وهو (مقامات الحريري) والمقامة فنّ أدبي نشأ في أواخر العصر العباسي أبدعها بديع الزمان الهمذاني وجاء الحريري فَنَسجَ على منوالهِ، والمقامة قطعة أدبية فنية تجمع شوارد اللغة ونوادر التركيب والعبارة بأسلوب مسجوع ومعجم زاخر بكثير من المفردات يمتزج بالشعر احياناً ، يأخذ شكل الحكاية وله راوية وبطل احياناً. وقد اختار الحريري لمقاماته بطلاً هو أبو زيد السروجي ، وراوية هو الحارث بن همّام.

فضلاً عن الأبحاث اللغوية والبيانية والكنايات والأحاجي النحوية، وثرائها بكثير من الظواهر النحوية ولاسيما الحذف والتقدير، فقد زخرت مقامات الحريري بهذه الظاهرة سواء حذف الكلمة أو حذف الجملة، فلا نكاد نقرأ مقامة إلاّ ونجدها قد جاء الحذف والإضمار مبثوثاً منتشراً في طيّاتها مراعياً الشروط والأقيسة النحوية المتفق عليها بين النحويين، إذ راعى المعنى والصناعة النحوية، فضلاً عن استنادها لأبعاد تداولية ومبادئ تخاطبية عبر نصوص أدبية قادرة على البوح بعدّة دلالات متّصلة شائعة بين مجموعة لغوية يمتلكون معارف لغوية ويتوافق مع اشتراط اللغويين أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف. وتبنى البحث عرضاً لنماذج مختارة من مقامات الحريري وتسليط الضوء على ما أُضمر فيها من مفردات وتراكيب راعت القواعد والأقيسة النحوية فضلاً عن الأبعاد النصيّة، وتناولها بالعرض والتحليل، جاء البحث في مقدمة وتوطئة تحدثتُ فيها عن ظاهرة الحذف في الدَرسَين النحوي والنصيّ وعن أنواع الحذف وأثر هذه الظاهرة في نصوص مقامات الحريري، وضمّت الدراسة مطلبين : الأوّل، حذف المفردات حيث تمّ اختيار نصوص من مقامات الحريري لإظهار هذا المنحى اللغوي والنحوي.

وخُصَّ المطلب الثاني بحذف الجمل مع انتخاب نصوص من مقامات الحريري لابراز هذه الظاهرة اللغوية. إذ قُمت بتحليل النصوص المختارة – في المطلبين – نحوياً وعرض أقوال النحويين واللُغويين فيها وأثر الحذف في إظهار كلام العرب حسناً جزلاً لطيفاً سواء حذف الحرف أو الكلمة أو الجملة مع علُوِّ بلاغتِهِ فضلاً عن أهمية ظاهرة الحذف وبروزها في بنية النص وأثرها في اتساق النصوص – مدار البحث – إذ أسهم ذلك في اختصار وإيجاز الكلام، والترابط بين أجزاء النص وأن تكرار المحذوف في النص يؤدي إلى حشو في الكلام لا سبيل مرجوّ منه ويمكن الاستغناء عنه استناداً الى علم المتلقي أو المُخاطَب. أمّا المنهج المتَّبَع في كتابة الهوامش، فهو نظام التوثيق (APA) وفق المنهج الآتي : إيراد الهوامش – الإحالة – في المتن بدءاً بذكر لقب المؤلف في تاريخ طبع الكتاب فذكر رقم

الصفحة والجزء إن كانّ المصدر المحال إليه أكثر من جزء وعند وجود أكثَر من مصدر – محال إليه – لأحد المؤلفين فيتمّ التمييز بينهما عن طريق سنة طبع الكتاب المحال إليه وفق ما مثبّت في ثبت المظان. اللهّم نسألك رضاك وعونك على خدمة العربية لغة الذكر المبين وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

التوطئة

الحذف في الدرس النحوي والنصيّ

الحذف لغةً: القطع – من الطرف خاصة– والاسقاط والقطف، فالمعنى المراد : هو أخذ شيء من شيء إما بقطعه أو قطفِهِ أو إسقاطه. (ابن منظور، ٢٠٠٩، ٤٨/٩ – ٤٩)

فالحذف : إسقاط الشيء لفظاً ومعنى، والإضمار : إسقاط الشيء لفظاً لا معنى، والحذفُ ما تُرك ذكره في اللفظ والنية كقولك (أعطيت زيداً) والإضمار : ما تُرك ذكره من اللفظ وهو مراد بالنية والتقدير كقول تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف : ٨٢] (الكفوي، ١٩٩٨، ٣٨٤). والحذف لابدّ فيه من خلفٍ ليستغني به عن المحذوف، وهو إسقاط شيء من الكلام. (العسكري، ٢٠٠٩، ٥١).

وفيه قال الرماني (٣٨٦هـ) : ((إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام. (الرماني، د.ت، ٧٦). وعرّفه الزركشي(٧٩٤هـ) بقوله : (إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل) (الزركشي، ٢٠٠٧، ٥٤٣) .

وقد أسند سيبويه (١٨٠هـ) الحذف للمتكلم بقوله : (أعلم أنهم ممّا يحذفون الكلم وإن كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، و يستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتّى يصير ساقطاً) (سيبويه، ٢٠٠٩، ٢٤/١، ٢٥) .

وأفرد له باباً خاصّاً أسماه : (هذا باب ما يكون في اللفظ من الإعراض) (سيبويه، ٢٠٠٩، ٢٤/١). أراد – بذلك – ربما العرب يحذفون. وخصّ ابن جنّي (٣٩٢هـ) الحذف بباب اسماه (باب في شجاعة العربية) بقوله : (أعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف، والزيادة، والتقديم، والتأخير والحمل على المعنى، والتحريف.) (ابن جنّي، ٢٠٠٨، ١٤٠/٢). وذكر أنّ الحذف يتعدى الكلمة وإسقاطها من جملة معينة، إذ حذفت العرب الجملةَ والمفرد والحرف والحركة، وهذا الحذف لا يقع إلاّ بدليل يدلّ عليه، وإلاّ كان فيه ضربٌ من تكليف علم الغيب لمعرفتهِ. ومن أمثلة حذف الجملة، ما أورده في حذف الشرط في قولهم : الناسُ مجزيّون بأفعالهم إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً والتقدير: إن فَعَلَ المرءُ خيراً جُزيَ خيراً، وإن فعلَ شَراً جُزيَ بهِ.

ومنه قول الله تعالى : وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً [البقرة : ٤٦]. أي فضربَ فانفجرت (أبن جنيّ، ٢٠٠٨، ١٤٠/٢،

١٤١) وعدّ عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ظاهرة الحذف مسلكاً شبيها بالسحر، بقوله : (هو بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكرِ والصَّمتِ عِنْ الأفادةِ أزيد للإفادة، وتجدك أنطقُ ما تكون إذا لم تنطق وأتَمَّ ماتكون بياناً إذ لم تبُنِ) (الجرجاني ١٩٩٢، ١٤٦) ومما أورده الجرجاني لصحّة ما ذهبَ إليه قول عمر بن أبي ربيعة بقوله : (وأنا أكتبُ لكَ بديئاً أمثلة مِمَّا عرض فيه الحذف، ثمّ أُنّبهُكَ على صحة ما أشرتُ إليه، أُقيمُ الحجّة من ذلك قول الشاعر :

اعتـــادَ قلبُـــك مِـــن ليلـــى عوائِـــدهُ وهـــاجَ أَهـــواءَكَ المكنونـــةَ الطَّلَـــلُ

رَبْـــعٌ قَـــواءٌ أذاعَ المعصـــراتُ بـــه وكـــلُّ حيـــرانَ ســـار مـــاؤهُ خَضِـــلُ

قال : أراد : ذاك ربعٌ قواء، أو هو رَبْعٌ. ؟ (الجرجاني، ١٩٩٢، ١٤٦) ويرى البلاغيون أنّ الحذفَ ضرب مِن الإيجاز شريطة عدم إخلاله بالمعنى، يقول العلوي (ت٧٤٩هـ) : ((إعلم أنّ مدار الإيجاز على الحذف؛ لأنّ موضوعه على الاختصار وذلك إنّما يكونُ الحذفُ ما لا يُخِلُّ بالمعنى، ولا ينقص من البلاغة بل أقول : لو ظهر المحذوف لنزَلَ قَدْرُ الكلام على عُلُوّ بلاغتِهِ، ولَصَار الى شيء مُستركٌ مسترذل، ولكان مُبطلاً لِماَ يظهَرُ على الكلام من الطلاوة والحُسنِ والرّقة) (العلوي، ١٤٢٣هـ، ٥١/٢).

ويرى علماء نص – المحدثون– أنّ الحذف هو حذفُ جُزءٍ من الجملة الثانية ودلّ عليه دليل في الجملة الأولى، وهو ما ذهب إليه كريستال مصطلحاً عليه (Ellipsis) مورداً المثال الآتي : أين رأيت السيارة ؟ في الشارع... والتقدير : رأيتها في الشارع، فحُذِفت الجملة الثانية، ودليل ذلك في الجملة الأولى (رأيتُ) (الفقى، ٢٠٠٠، ١٩١/٢، ١٩٢) فالحذف ظاهرة نصيّة لها أثرٌ فعّال في اتّساق النص وترابط عَناصرهُ، وفي أغلب الأمثلة لابُدّ من وجود العنصر المفترض في النص السابق. فالحذفُ إذنُ يُنشأ علاقة قَبلية، ممّا يعني أنّ هناك دليلاً يَسبقُ العنصرُ المحذوف (خطابي، ١٩٩١، ٢١) فالحذف يُسْهِم في الاتّساق بين الجمل المشّكلّة للنص، وليس في مستوى جملة واحدة؛ لأنّ العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنْيَوية لا يقوم فيها الحذفُ بأيّ دورٍ اتّساقي. لذا فإنّ أهمية دور الحذف في الاتّساق ينبغي البحثُ عنه في العلاقة بين الجمل، وليس داخل الجملة الواحدة (خطابي، ١٩٩١، ٢٢) وعرّفه دي بوجراند بقوله : (هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكنُ لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يُوسَّعَ أو يُعدَّلَ بواسطة العبارات الناقصة. (دي بوجراند، ١٩٩٨، ٣٠١) واصطلح عليه – أيضاً – مصطلح الاكتفاء بالمبنى العدَميّ، فالبنيات السطحية في

النصوص غير مكتملة غالباً بخلاف ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي (دي بوجراند، ١٩٩٨، ٣٤٠) .

فالحذف يُسهِم في تحقيق الاتّساق النصيّ إذ لا يكتمل بناء النص إلاّ بتعيين المحذوف، وتقديره في مكانه من النصّ، وخلاّ ذلك التقدير يُصبح النصّ مفككاً لا روابَط بين عناصره. (عبد الراضي، ٢٠١٠، ٩٧) آخذين بنظر الاعتبار أنّ بقاء المحذوف في الكلام (أُعيد مراراً وتكراراً) سيحدثُ خَلَلاً في النصّ، ويجعلُهُ مليئاً بالحشو والزيادات التي لا طائِل مِن ورائها.

وتتجلى فائدة وأهمية الحذف – لدى اللّسانيين والنصّيين – في تحقيق إيجاز النصّ وترابط أجزائهِ حيث يخلق استمرارية المعنى السَّابق في اللاحق من دون تكرار الوحدات اللغوية، إذ يَعملُ الحذفُ معاً على شكل شبكةٍ داخلية. (شبل، ٢٠٠٧، ١١٥) (قيّاس، ٢٠٠٩، ١٢٣) وملاك القول فالحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية، بيد أنّها في العربية أكثر ثباتاً ووضوحاً؛ لأنّ العربية تتسم بميلها للإيجاز والاختصار. والقصر والحذفُ أحد نوعي الإيجاز. ويشترط في الحذف وجود دليل على المحذوف يتمثل في قرينة سواء من لفظة أو من سياقه، وبخلافهِ لا يمكنُ معرفته (فيصير اللفظُ مُخِلاً بالفهم. ولئلاّ يصيرُ الكلامُ لغزاً فيُهجَن في الفصاحة)) (الزركشي، ٢٠٠٧، ٥٤٨) و اشترط النحاة في الحذف أمن اللبس، فلا يُؤدي الى غموضٍ في المعنى، قال المبرّد (٢٨٥هـ) ((هذا باب ما يحذف استخفافاً لأنّ اللبسَ فيه مأمون، وذلك أنّ للاشياء أصولاً، ثمَّ يحذفُ منها ما يخرجها عن أُصولها) (المبرَّد، ٢٠١٠، ٢٤٨/١).

ووافق علماءُ النصّ علماء العربية القدماء في وجوب الدليل على النص المحذوف، سواء كان نوعه مفرداً، أو جملة، أو أكثر. واشترط النصيّون أن يكون الحذف على مستوى الجُمل لا داخل الجملة الواحدة، وأن يبدأ الحذفُ بجملة تامة المعنى تُراعي القواعد النحوية، وأن يعتمد على تبعيّة الجملة التالية للجملة السابقة. (حسنين، د.ت، ٢٥٣)

فلابدّ من وجود أكثر من جملة، لأنّ الاتّساق لا يتحقق عن طريق الحذف في الجملة الواحدة؛ لأنّ العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنيويّة لا يقوم فيها الحذف بأي أثر اتّساقي (خطابي، ١٩٩١، ٢٢) .

أنواع الحذف :

تعددت أوجُه الحذف في العربية، ومردّ ذلك تقدير المحذوف الذي يُفهم بوجود قرينةَ دالّة عليه، أو من السياق، وذكر ابن جنّي أنّ العرب حذفت (الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته (ابن جنّي، ٢٠٠٨، ١٤٠/٢) ووافق ابن هشام ابن جنّي فيما ذهبَ إليه – في ذكر

أقسام الحذف – بيدَ أنّه زاد قسماً آخر هو (حذف أكثر من جملة) وجاء تقسيمهُ على: حذف الفعل، حذف الاسم، حذف الحرف، حذف الجملة، حذف أكثر من جملة (ابن هشام، ١٤٧٨هـ، ٨٢٧/٢، ٨٥٢).

وهذا التقسيم – لأنواع الحذف – الذي ذكره علماء اللغة والنحو العرب من القدماء، لا يخرج عمّا ذكره علماء النصّ ((فأكثر الأنماط قياماً بمهمّة التماسك النصّي هي: حذف الاسم وحذف الفعل، وحذف العبارة وحذف الجملة، وحذف أكثر مِن جملة، ويتبع حذف الجملة وحذف أكثر مِن جملة حذف لبعض أحداث القصّة)) (الفقي، ٢٠٠٠، ١٩٦/٢).

ومن الجدير بالذكر أنّ القاعدة التي تقوم عليها عملية الاتّساق بوساطة الحذف – داخل النصوص– تقتصر على: التكرار، أي تكرار اللفظ نفسه بعد إعادة المحذوف، وهنا يبرز دور المتلقي الذي يُعيد بناء النصّ، والمتلقي هنا هو قارئ النص (المؤدّي) أو المستمع للنص (المُؤَّدى إليه). والعلاقة (المرجعية) بين المحذوف والمذكور، وهي علاقة داخل النصّ (الفقي، ٢٠٠٠، ١٩٦/٢)، وتكون قبلّية– الجملة اللاحقة للجملة السابقة، أو خلاف ذلك – علاقة بَعْدية، وهناك علاقات مقامية خارج النصّ، ولكنها لا تحقق الاتساق؛ لأنّها تكون على مستوى الجملة الواحد، والاتّساق لا يتحقق إلاّ بوجود أكثر من جملة، فالحذف المرجعي الخارجي ليس له مكان في الاتّساق، كونه لا يربط بّين وحدات النصّ المختلفة. فضلاً عن وجود الدليل على المحذوف، وهو ما أكّدهُ اللغويون العرب، وعلماء النصّ (الفقي، ٢٠٠٠، ٢٠٠، ٢٠١) ومثاله قوله تعالى: وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً (النحل: ٣٠) أي: قالوا : أنزل ربُّنا خيرا. (الزمخشري، ٢٠٠٥، ٥٧١) وهنا المرجعية قبلية بين مكان العنصرين المحذوفين من الجملة الثانية (أنزلَ ربُّنا) وبين المذكور في الجملة الأولى. ومثال المرجعية البعدية قول قيس بن الخطيم

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف

(سيبويه، ٢٠٠٩، ٧٥/١) أراد : نحن بما عندنا (راضون) وأنت بما عنك راضٍ. فالتماسك النحوي والنصيّ تحقق بين هذين الشطرين بعد وقوع الحذف من الأوّل لدلالة الثاني عليه، إذ حُذِفَ خبر المبتدأ الأوّل لدلالة خبر الثاني عليه، فهي إذاً مرجعية قبلية. فعن طريق تقدير المحذوف، يظهر التكرار ويظهر الاتّساق على مستوى أكثر من جملة. ولابُدَّ أن يكون للمتلقي أثر في عملية الحذف فهو مَنْ يَفُكُّ شفرات النص ويستخرج ما فيه (الفقي، ٢٠٠٠، ٢١٣/٢).

وعليه يجب معرفة مواضع الحذف والوقوف عليها ومَلْء الفراغات الناتجة عن الحذف وهذا المِلء يتمّ بوعي عن طريق آليات وضوابط متعارف عليها قديماً وحديثاً منها مراعاة السياق في أثناء عملية الحذف، وأن يقدّر مواضع الحذف باعتماد الأدلة الموجودة في البنية

السطحية. (البطاشي، ٢٠١٣، ١٩٣، ١٩٤)، ويتوقف فهم المحذوف بين حين وآخر على ثقافة المتلقي ودرايتُه ومعرفته باللغة ولاسيما إذا كانت القرينة عقلية، ولا تتوافر في النص، فالمتلقي يُسهِم في إتمام النَّص، وفي مِلء فراغاتهِ، وبذا تكون عملية القراءة إعادة بناء للنص طبقاً لتصوّر القارئ، ويعني ذلك أنّ القارئ يُشارك المؤلف في تشكيل المعنى؛ لأنَّ النصّ وُضِعَ لأجله. (الفقي، ٢٠٠٠، ٢/٢١٥) .

أثر ظاهرة الحذف في نصوص مقامات الحريري.

للحذف أثر مهم في فهم نصوص مقامات الحريري فهو ليس مجردَ الاختصار والتخفيف لكثرة دوران الألفاظ في كلامهم – بل الغرض منه التفخيم والإعظام لِما فيه من الإبهام؛ لأنّ ذهن المتلقي يذهب كلّ مذهب لتقدير المحذوف وقد لا يدركه، وأفادَ ذلك تعظيم شأن المحذوف ويزيد في النفس مكانه وزيادة لذّه استنباط الذهن المحذوف. فضلاً عن أثر المحذوف في تحقيق الاتّساق النصيّ، فجاء بين جمل متجاورة، أو بين جمل بينهما فاصل، أو بين جُمل متالية، مكوّناً حلقات ممتدّة داخل النص تعمل على تحقيق الاتّساق النصيّ، وتنوّع الحذف في مقامات الحريري ما بين حذف الاسم والفعل والحرف والتراكيب النحوية، وهذه التقسيمات سوف تكون مدار البحث.

المطلب الأول

حذف المفردات

المتأمّل لمقامات الحريري يرى تعدد المحذوف – في المقامة الواحدة – ما بين اسم وفعلٍ وحرفٍ، وجملٍ وتراكيبَ غير تامة المعنى، ومما ورد فيه حذف المفرد ما جاء في المقامة الفراتية عن كتابة الانشاء وكتابة الحساب إذ عرض الحريري لفضل صناعة الإنشاء ومكانة صاحبها في سياق مفاضلة طريفة بينهما بقوله على لسان بطله : (أعْلموا أنّ صِناعةَ الانشاءِ أرفَعُ، وصِناعةَ الحِساب أنْفَعُ. وقَلَمَ المكاتَبة خاطبٌ. وقَلَمَ المُحَاسَبَة حَاطبٌ. وأسَاطيَر البلاغة تُنسْخُ لتُدْرَس. وَدَسَايَرَ الحِسَاباتِ تُنْسَخُ وتُدرسُ. والمنْشِيءُ جُهَينَةُ الأخبار، وحَقيبةُ الأسرار، ونَجيّ العُظماءِ، وكبير النُدَماءِ، وقلمُه لِسَانُ الدَوْلةِ. وفَارِسُ الجَوْلةِ. وَلُقْمانُ الحِكْمَةِ. وَتَرْجُمانُ الهِمَّةِ وَهْوَ البشَيرُ والنذَيرُ والشفيعُ والسفيرُ، به تُستخلصُ الصَياصيّ. وتُمْلَكُ النَوَاصي. ويُقْتادُ العَاصِي. ويُستَدنى القَاصِي. وَصَاحِبُهُ بَرِيءٌ مِن التَبعِاتِ. آمِنٌ كَيْدَ السُعَاةِ. مُقَرَّظٌ بَينَ الجَمَاعاتِ غَيْرُ مُعَرَّضٍ لِنَظْمِ الجِمَاعَاتِ.) (الحريري، ١٩٨٠، ١٨٤ – ١٨٥) إذ تَعدَّدَ المحذوف في المقامة بدءاً يَحذف الجملة الفعلية (أعلموا) الواردة بصيغة الأمر، إذ يلزم فتح همزة (أنَّ) بعدها وعلّةُ ذلك وقوعها في موضع نصب غير خبر؛ لأنّ المفعول به لا يقعُ إلاّ مفرداً.

بخلافِ قولنا : حسبتُ زيداً إنّهُ قائمٌ، فهي موضع نصب، لكنّها – في المعنى – خبر فتكسر. (الاستراباذي، ٢٠٠٠، ١٠٠/٦) (السيوطي، ٢٠٠٦، ٤٤٠/١). وقد وردت (أنّ) بفتح الهمزة – في هذا الموضع – في القرآن الكريم في مواضع عدّة ومنه قوله تعالى: اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا [الحديد : ١٧].

إذ حُذِفَ (أنَّ) المفتوحة الهمزة، وهي و(إنّ) واحدة وإنّما تكُسر في مواضع – والموضوعه لتأويل مصدر خبرها مضافاً الى اسمها – في المقامة وعند إعادة المحذوف – من الأحرف – في النص يكون التقدير : ((إعلموا أنّ صِناعَة الأنشاءِ أرفَعُ، وأَنَّ صِناعَةَ الحِسابِ أنْفَعُ، وأَنَّ قَلَم المكاتَبَةِ خَاطِبٌ. وأنَّ قَلَمَ المُحَاسَبَةِ حاطِبٌ. وأنَّ أساطيرَ البلاغةِ تُنْسَخُ لِتُدْرَسَ. وأنَّ دَسَاتيَر الحُسْابَات تُنْسَخُ وتُدْرسُ)). فـ(أَنَّ) المفتوحة المقدّرة قد أفادت معنى التوكيد كالمكسورة إذ ((تَقلِبُ معنى الجملة الى الأفراد وتصير في مذهب المصدر المؤكِد، ولولا إرادة التأكيد لكان المصدر أحقُّ بالموضع وكُنتَ تقول مكان بَلَغَني أنَّ زيداً قائمً، بلغنَي قيامُ زيدٍ)) (ابن يعيش، ٢٠١٣، ١٠٣/٨) .

لقد أجرى الحريري(٥١٦هـ) موازنة – غاية في الدقة – بين صناعة الإنشاء وصناعة الحساب بأسلوب مسجوع مع تزيين اللفظ وتحسينه، فقلمُ المكاتبةِ جامع للكلام، وقلم الحساب جامع للحطب، إذ المنشى كالخطيب يختار من الكلام النفيس أنَفسَهُ، أما كاتب لحساب فلا يبالي بالذي يكتب إذ يجمعُ بين الجيد والرديء(الشريشي، ١٩٩٢، ٥٦/٣) وأساطير جمع الجمع، جمع أسطار جمع سطر، أي ماخُطَّ وكُتِبَ من كتب الفصاحة تُقرأ وتُدرس في الدرَس أمّا دساتير – النُسخ – التي يدوّنُ فيها الحساب فتمُحى وتترك وتنعدم.

وفي سياق إبراز الأوصاف التي تليق بكاتب الانشاء جاء اقتباسان من الذكر الحكيم، فقوله: (ولقمانُ الحكمة) مقتبس من قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ] لقمان ١٢[وقوله: (وهو البشير والنذير) مقتبس من قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً] البقرة :١٩[إذ أورد الحريري الاقتباسين في سياق رفع شأن قلم الانشاء فألبسه حكمة لقمان (رض) وعدّه البشير والنذير، الغاية المبتغاة من دعوة سيدنا رسول الله (ص) كي يبرزَ فضل الكتاب والكتاب.

وفي موضع آخر – مِن المقامة – حُذِفَ حرف الجر – الباء للتوسّع في الكلام، وعند تقدير المحذوف يكون الكلام: (به تُستَخلصُ الصياصي، وبهِ تُملكُ النَواصي، وبه يُقتادُ العاصي وبه يُستَدنى القاصي). فحذفُ حرف الجر – الباء – جائز في الاختيار، وهي مكسورة حملاً على لام الجر و(لاجتماعهما في عمل الجر ولزوم كلّ واحدٍ منهما الحرفية بخلاف ما يكون حَرفاً واسماً وَكونهما من حروف الذلاقة) (ابن يعيش، ٢٠١٣، ٨٨/٨).

وسمّاها النحويون – أي الباء – حرف الصاق مرّةً، وأُخرى حرف استعانة أو حرف إضافة. فالالصاقُ نحو قولنا: أمسكتُ بزيد، والاستعانة نحو ضربتُ بالسيفِ، والاضافة نحو قولنا: مررتُ بزيد (ابن جني، ٢٠٠٨، ١٣٤/١) والباء الواردة – في المقامة – مضافة للضمير الهاء – وقُدّرت في مواضع عدّة وهي باء الاستعانة وهي الداخلة على آلة الفعل، فقلمُ المكاتبة به تُملك وتحصلُ الحصون، والرؤوس، والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدّم الرأس، والقاصي البعيد، (الشربشي، ١٩٩٢، ٥٨/٣) فحذف الحرف المشبّه بالفعل (أنَّ) وحذف حرف الجر (الباء) حُذِفتا بدلالة مذكور سابق في المقامة، إذ تحقق الاتّساق بين جُمل النص، عن طريق تقدير المحذوف، ومِن ثمّ تكراره – المحذوف – ثم المرجعية التي تربط بينه وبين الدليل، ففي قول الحريري: (وصناعة الحسابِ أنفعُ) الى قوله: (ودساتير الحُساباتِ تنُسَخُ وتُدرَسُ) محذوف تقديرهُ (أَنّ) المذكور في قوله: (أعلموا أنّ صناعةَ الإنشاءِ أَرفَعُ) ويكون التقدير: (وأنَّ صِناعة الحسابِ أنفعُ، وأنّ قَلَمَ المكاتَبةِ خاطبٌ، وأنَّ قَلَمَ المحُاسبةِ حَاطِبٌ، وأنّ أساطيرَ البلاغةِ تُنسَخُ لتُدرَسَ، وأنّ دَساتيرِ الحُساباتِ تُنسَخُ وتدرَسُ.

وتمّ الربط بينَ الجمل التي قُدِّر فيها المحذوف بأداة العطف الواو؛ فللمحذوف – أنَّ – المقدّر الأثر الكبير في فهم القارئ للنصّ، إذ يقوم ((بمجموعة من العمليات الذّهنية الناتجة عن الحذف لسدّ الفجّوات التي تقع على المستوى التركيبي أو سطح النصّ، اعتماداً على معرفته الأساسيّة بالأعراف التركيبية)) (فرج، ٢٠٠٧، ٨٨). وكذلك حذف حرف الجر الباء في المقامة (وتُملكُ النواصي) الى قوله (ويُستَدنى القاصي) وعند إعادة المحذوف – الباء – يكون التقدير: (وبِهِ تُملكُ النواصي، وبِهِ يُقتادُ العاصي، وبِهِ يُسْتَدْنَى القاصي)، وبدلالة مذكور سابق في المقامة هو الضمير إلهاء المجرور بحرف الجر الباء (بِهِ) إذ تمّت الإحالة إليه بواسطة الهاء – الضمير – تُفسِّرُها مرجعية سابقة يدركها القارئ من سياق الكلام. فالحريري اعتمد قانون الاختصار – من قوانين التخاطب إذ أضمر في كلامِهِ ما دلّت عليه قرائن مقالية أو مقامية؛ لأنّ اللسان العربي يميل الى إيجاز العبارة، وطيّ المعارف المشتركة طيّاً، اعتماداً على قدرة المخاطب على تداول ما أُضمِرَ في الكلام متى ما اقتضت الى ذلك حاجة الفهم. (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ١١٢) لقد ساهم حذف (أنّ) و(الباء) – في المقامة – في تقوية الاتساق والترابط بين أجزاء النص.

ومنه ما وَرَدَ في المقامةِ القِطَيعيّة قول الحريري: ((حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال: عاشَرتُ بقطيعَةِ الرّبيعِ في إبّانِ الرّبيعِ. فِتيةً وجوهُهُمْ أبلَجُ من أنوارِهِ، وأخلاقُهُمْ أبهَجُ من أزهارِهِ، وألفاظُهُمْ أرقُّ من نسيمِ أسحارِهِ، فاجتَلَيتُ منهُمْ ما يُزْري على الرّبيعِ الزّاهِرِ. ويُغْني عن رنّاتِ المَزاهِرِ، وكنّا قد تقاسَمْنا على حِفْظِ الوِدادِ. وحَظْرِ الاستِبْدادِ. وأن لا يتفرّدَ أحدُنا بألْتِذاذٍ. ولا يستأثِرَ ولو برَذاذٍ. فأجْتمَعْنا في يومٍ سَما دَجْنُهُ. ونَما حُسنُه. وحكَمَ بالاصْطباحِ مُزْنُهُ، على

أنْ نلتَهي بالخُروجِ. إلى بعضِ المُروجِ. لنُسرّحَ النّواظِرَ، في الرّياضِ النّواضِرِ، ونصْقُلَ الخواطِرَ، بشَيْمِ المَواطِرِ)). (الحريري، ١٩٨٠، ٢٠٣) تعدَّد المحذوف في النص المقتبس من المقامة سواء حذف الجملة الفعلية أو الأسم أو الحرف. والأحرفُ المحذوفة بعضها داخلة على الأسماء وبعضها الآخر على الفعال. وعند إعادة المحذُوف من الأحرف يكونُ التقدير: ((عاشَرتُ بقطيعَةِ الرّبيعِ في إبّانِ الرّبيعِ، فِتيةً وجوهُهُمْ أبلَجُ من أنوارِهِ، وأخلاقُهُمْ أبهَجُ من أزهارِهِ، وألفاظُهُمْ أرقُّ من نسيمِ أسحارِهِ، فاجتَلَيتُ منهُمْ ما يُزْري على الرّبيعِ الزّاهِرِ. واجَتَليتُ مِنهُم ما يُغْني عن رنّاتِ المَزاهِرِ، وكنّا قد تقاسَمْنا على حِفْظِ الوِدادِ. وَعَلى حَظْرِ الاستِبْدادِ. وَعلى أن لا يتفرّدَ أحدُنا بالتِذاذٍ. وعلى أَنْ لا يستأثِرَ وَلَوْ برَذاذٍ. فأجْمَعْنا في يومٍ سَما دَجْنُهُ. وفي يوم نَما حُسنُه. وفي يَوْمٍ حكَمَ بالاصْطِباحِ مُزْنُهُ : على أنْ نلتَهي بالخُروجِ. إلى بعضِ المُروجِ. لنُسرّحَ النّواظِرَ، في الرّياضِ النّواضِرِ، ونصْقُلَ الخواطِرَ بشَيْمِ المَواطِرِ.)).

جاء حرف الجر (مِنْ) في المقامة مكرراً في عدّة مواضع دالاً على معنى التبعيض. ومنه قوله تعالى: مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللهُ [البقرة : ٢٥٣] وعلامتها جواز الاستغناء عنها وسد (بعض) بدلاً عنها. (المرادي، ١٩٩٢، ٣٠٩) وقد حُذف حرف الجر (مِن) المضاف الى الضمير (هم) لوجود ما يدل عليها في الكلام والتقدير – كما مرّ آنفاً – (واجتليتُ منهم ما يغني عن رنّات المزاهر). ودلالة (مِنْ) المقدّرة هنا التبعيض أيضاً؛ لأنّ مجيء (مِنْ) للتبعيض كثير في كلام العرب. جاءت عبارة الحريري قصيرة وقد استطاع بأسلوبه المسجوع وضروب الحقيقة والمجاز توظيف معاني حروف الجر الواردة في النص المقتبس والمقدّرة ومنها حرف البحر (مِنْ) الوارد في هذه المقامة، فالفصل فصلُ الربيع، والذين عاشرهم فتية في مقتبل العمر وجوههم أضوأ من أنوار الربيع ذوي خُلقٍ رفيع بهيج بهجة تفوق بهجة الأزهار فضلاً عن رقة عبارتهم، ناظراً منهم ما يُعيبُ على الربيع الكثير الزهر، وما يُغنيهِ عن رنّة العود الذي يُضرب للطرب. فقد استطاع أن يحصل على بعض من هذه القيم الجمالية ما يتعلق منها بالزمان والمكان ومَن عاشرهم مما عمد إليه في استعمال حرف الجر مِن وعلامتهُ بإمكان سدّ (بعض) مسدّها. وهذا البعض بمجموعه يكوّن كُلاً متكاملاً. وممّا حُذِف من حروف الجر الحرف (على) المقدّر آنفاً بدلالة المذكور السابق في النص. وفي (على) الجارّة عدّة مذاهب، فهي عند المبرد وجماعة من المشترك اللفظي بين الاسم والفعل والحرف؛ لأنّ الحرف لا يُشتقُ، ولا يُشتقُ منهُ، فالاتفاقُ حاصلُ في اللفظ فقط، لأنّ كلّ واحد من هذه الثلاثة مخالف لصاحبه إلاّ باللفظ (ابن يعيش، ٢٠١٣، ٨/ ٦٨).

وقال آخرون: (الأصل أنْ تكونَ حرفاً؛ وإنما كثرُ استعمالها فشُبهت في بعض الأحوال بالاسم، فأجريتُ مجراه، وأُدخِل عليها حرف الجر كما يشُبَّه الاسم بالحرف ويجري مجراه نحوَ

مَنْ وَلَمْ) (المرادي، ١٩٩٢، ٤٧٦) ومن أشهر معانيها – الحرفية – الاستعلاء، إمّا حقيقة ومنه قولنا : زيدٌ على سطح الدارِ، أو مجازاً نحو قولنا: عليهِ دَينٌ. و(على) الحرفية الواردة في المقامة – الواردة آنفاً – والمحذوفة المقدّرة دالّة على الاستعلاء مجازاً وقد أفادت هذا المعنى، فَهُم المستَعْلَون على الوداد فحفظوا ذلك الوداد وهم المستعلون على الاستبداد فمنعوا ذلك الاستبداد، وهم المستعلون على الالتذاذ فمنعوا التفرّد فيه فضلاً عن عدم الاستئثار بالملّذات فُرادى ولو يقَدَر رذاذ. وجاء النفي والمنع بأداة النفي (لا) وقد تم حذف (أنْ) المصدرية الناصبة للفعل المضارع في المقامة والمقدّرة آنفاً تُفادياً للتكرار. ومن الأحرف المحذوفة والمقدّرة – في المقامة – الحرف (في) ومعناها الظرفية (إمّا تحقيقاً نحو : زيدٌ في الدار، أو تقديراً، نحو نظرَ في الكتابِ، وتفكَّرَ في العلمِ، وأنا في حاجتِكَ، لكون الكتاب والعلم والحاجة شاغلة للنظر، والتفكرّ، والمتكلِّم مشتملة عليها اشتمال الظرف على المظروف فكأنّها محيطة بهِا من جوانبها) (الاسترابادي، ٢٠٠٠، ٢٣/٧).

إذ اجتمعوا في يومٍ ارتفع غيمه وزاد بهاؤُهُ وجمالهُ، يومٍ حَكَمَ السحابُ فيه الشربُ في وقت الصباح. (الحريري، ١٩٨٠، ٢٠٣، الهامش). أنما المرادُ أنّ اليوم قد حوى كلَّ هذه الأشياء والصفات. وجاءت أحرف الجر تترى لتتمّم النص المقتبس من المقامة ومنها (على) الدالة على الاستعلاء و (الى) الدّالة على انتهاء الغاية المكانية فضلاً عن لام التعليل الناصبة للمضارع المقدرة في قوله (لِتَصْقُلَ)، و(في) الظرفية الواردة في المقامة.

لقد كان لحذف هذه الحروف أثر في تحقيق الترابط والاتّساق النَّصي للنص المقتبس من المقامة. لوجود ما يدلُّ عليها في الكلام، كحذف (من) للتبعيض، وعلى للاستعلاء، و(في) الطرفية، وَقد ظَهرَ حُسنُ الحذفِ هنا للتخلص من الكلام الفضل الذي يمكن الاستغناء عنه استناداً الى علم المتلقي أو المخاطب. وكما سبقت الإشارة إليه، فحذف حرف الجر (مِن)، وحذف حرف الجر (على) بدلالة مذكور سابق في المقامة، فأنّ معناه قائم في ذهن المتلقي. وقد أضفى الحذف هنا جماليته على النص، وتكرار المحذوف في المقامة يؤدي الى حشو في الكلام لا فائدة مرجوّه منه. إذ عمَد المتكلّم الى حذف بعض العناصر التي يمكن للسامع أن يدركها، ولاسيما مع وجود الأدلّة اللفظية المرشدة للعنصر المحذوف. (حمودة، ١٩٩٨، ١٣٣).

ومنه ما ورد في المقامة التفْليسية قول الحريري: ((... فلمّا قضيْنا الصّلاةَ، وأزْمَعْنا الانفِلاتَ، برزَ شيخٌ بادِي اللَّقوَةِ، بالي الكُسوَةِ والقُوّةِ، فقالَ: عزمْتُ على منْ خُلِقَ منْ طينَةِ الحُريّةِ، وتفوّقَ دَرَّ العصبيّةِ. إلا ما تكلّفَ لي لُبْثَةً، واستمَعَ مني نَفثَةً، ثمّ لهُ الخِيارُ منْ بعْدُ، وبيدِهِ البذْلُ والرّدُّ، فعقَدَ لهُ القومُ الحُبَى، ورسَوْا أمْثالَ الرُبى، فلمّا آنَس حُسْنَ إنْصاتِهِمْ، ورَزانَةَ حَصاتِهِمْ، قال: يا أولي الأبْصارِ الرّامِقَةِ، والبَصائِرِ الرّائِقَةِ، أمَا يُغْني عنِ الخبَرِ العِيانُ،

ويُنْبئُ عنِ النّارِ الدخانُ؟ شَيبٌ لائِحٌ، ووهْنٌ فادِحٌ، وداءٌ واضِحٌ، والباطِنُ فاضِحٌ، ولقدْ كُنتُ واللهِ ممّنْ ملَكَ ومالَ، ووَلِيَ وآلَ، ورفَدَ وأنالَ، ووصَلَ وصالَ. فلمْ تزَلِ الجَوائِحُ تسْحَتُ، والنّوائِبُ تنْحَتُ، حتى الوَكْرُ قَفْرٌ، والكفُّ صَفْرٌ، والشّعارُ ضُرٌّ، والعيشُ مُرٌّ، والصّبْيَةُ يتَضاغَوْنَ من الطّوى، ويتمنّونَ مُصاصَةَ النّوى، ولمْ أُقُمْ هذا المَقامَ الشّائنَ، وأكشِفْ لكُمُ الدّفائِنَ، إلا بعْدَما شَقيتُ ولُقيتُ، وشِبْتُ ممّا لَقيتُ، فلَيتَني لمْ أكُنْ بَقيتُ)). (الحريري، ١٩٨٠، ٢٨٧، ٢٨٨).

نص الحريري الوارد آنفا فيه أكثر من محذوف سواء حذف الجملة أو الاسم، أو الفعل، أو الأداة وعند تقدير المحذوف في النص يكون التقدير ((... فَلَمّا قضيْنا الصّلاةَ، ولما أزْمَعْنا الانفِلاتَ، برزَ لنا شيخٌ بادِي اللَّقوَةِ، بالي الكُسوَةِ والقُوّةِ، فقالَ: عزمْتُ على منْ خُلِقَ منْ طينَةِ الحُريّةِ، وعلى مَنْ تفوّقَ دَرَّ العصبيّةِ. إلا ما تكلّفَ لي لُبْثَةً، وما استمَعَ مني نَفثَةً، ثمّ لهُ الخِيارُ منْ بعْدُ، وبيدِهِ البذْلُ والرّدُّ، فعقَدَ لهُ القومُ الحُبَى، ورسَوْا لهُ أمْثالَ الرُبى، فلمّا آنَس حُسْنَ إنْصاتِهِمْ، ولَما تيقَنَ رَزانَةَ حَصاتِهِمْ، قال: يا أولي الأبْصارِ الرّامِقَةِ، ويا أُلي البَصائِرِ الرّائِقَةِ، أمَا يُغْني عنِ الخبَرِ العِيانُ، أما يُنْبئُ عنِ النّارِ الدخانُ؟ شَيبٌ منّي لائِحٌ، ووهْنٌ مِنّي فادِحٌ، وداءٌ مِنّي واضِحٌ، والباطِنُ منّي فاضِحٌ، ولقدْ كُنتُ واللهِ مِمّنْ ملَكَ ومَالَ، وممَّن وَلِيَ وآلَ، ومِمّن رفَدَ وأنالَ، وَمِمّن وصَلَ وصالَ. فلمْ تزَلِ الجَوائِحُ تسْحَتُ، ولم تَزَل النّوائِبُ تنْحَتُ، حَتّى الوَكْرُ قَفْرٌ، وحتى الكفُّ صَفْرٌ، وحَتّى الشّعارُ ضُرٌّ، وَحَتّى العَيْشُ مُرٌّ، والصّبْيَةُ يتَضاغَوْنَ من الطّوى، ويتمنّونَ مُصاصَةَ النّوى، ولمْ أُقُمْ هذا المَقامَ الشّائنَ، ولَمْ أكشِفْ لكُمُ الدّفائِنَ، إلا بعْدَما شَقيتُ ولُقيتُ، وبعدما شِبْتُ ممّا لَقيتُ، فلَيتَني لمْ أكُنْ بَقيتُ.)). إنّ تعدّد المحذوف في المقامة سواء الجملة أو الكلمة ومنها حروف الجر، وأوّل الحروف المحذوفة الحرف (لمّا) المقدّر قبل الفعل الماضي أَزمَعَ، والتقدير : وَلَمّا أزمعنا، فلما حرف وجوب لوجوب، وقيل : حرف وجود لوجود، وفيها مذهبان : الأوّل : أنّها حرف وهو مذهب سيبويه، والثاني : أنّها ظرف بمعنى حين وبه قال ابن السّراج(٣١٦هـ) وأبو علي الفارسي(٣٧٧هـ) وتبعهم ابن جنّي. ولمّا هذه لا يليها إلاّ فعل ماضٍ مثبت أو منفي بـ (لم) (المرادي، ١٩٩٢، ٥٩٤، ٥٩٥) (ابن هشام، ١٣٧٨هـ، ٣٦٩/١) ولمّا (فيه تطاولٌ، يُقال : ركِبَ زيدٌ وقد لَبِسَ خُفَّهُ، وركبَ زيدٌ ولمَا يلبَسْ خُفَّهُ، فالحالُ قد جَمَعَهما، وكذلك تقول : ندِمَ زيدٌ ولم ينفَعهُ نَدَمَهُ، أيْ عُقيبَ ندمِهِ انتفى النَفعُ، ولو قالَ : ولمَّا يَنفعُه ندمُهُ امتدّ و تطَاوَلَ؛ لأنّ (ما) لما رُكّبت مع (لمْ) حدثَ لَها معنى بالتركيب لم يكن لها وغيّرت معنها كما غيّرت معنى (لو) حين قلت (لو ما) (ابن يعيش، ٢٠١٣، ٢٠٢/٨) لقد كان الحريري دقيقاً في اختياره للحرف (لمّا) الوارد في المقامة والمقدّر لِما فيه من سعة ومطاولة في الوقت سواء عند إقامة الصلاة –ولاسيما صلاة الجماعة – أو الانتهاء منها، على حين أن عبارة (أزمعنا

الانفلات) معناه أسرعنا بالمغادرة وحين قدرنا (لمّا) قبل الفعل فهو دليل على تعمق الحريري في ضروب اللغة وأوضاعها وما يتعلق بها وخروجه عن المألوف من قواعد واقيسه النحويين. وفي المقامة أدوات نحوية أخرى يمكن تقديرها ومنها الأداة اللام المتصلة بضمير الجماعة – المقدر – (نا) والتقدير (لنا). واللام المقدرة هنا عاملهُ دالة على الاختصاص، وموضعها في الكلام الإضافة، وللّام في الإضافة معنيان : المُلك والاستحقاق، واللام المقدّرة في المقامة المرادُ بها الاستحقاق فحين نقول : السّرجُ للدّابةِ، والأخُ لعمروٍ، فالمرادُ به الاستحقاق عن طريق الملابَسة، ونعني بالاستحقاق اختصاصه بذلك، فالسرجُ مختَصٌّ بالدّابة، والأخُ مختصّ بعمرو، فلا يصحّ ملكه (ابن يعيش، ٢٠١٣، ٤٦/٨، ٤٧) (المرادي، ١٩٩٢، ١٩٦) فالشيخ المصاب بضرب من الفالج قد بَرَزَ للمصلين فجأة مرتدياً كسوة بالية قديمة ممزّقة وقد خارت قُواهُ، وبروز الشيخ كان حصراً للمصلين ومختصاً بهم. وهذا المعنى قد تحقق حين قدرنا حرف اللام المضاف للضمير (نا). ومن الأحرف المحذوفة المقدّرة في المقامة حرف الجر (على) المقدر – فضلاً عن (مَنْ) الموصولة قبل قوله : (وتفوَّقَ دَرَّ العصبية) ودلالة (على) الحرفية هنا، على الاستعلاء مجازاً، كما يقال : عليه دين، ومنه قوله تعالى : فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ [البقرة : ٢٥٣] (الاسترابادي، ٢٠٠٠، ٧٥/٦) (المرادي، ١٩٩٢، ٤٧٦) ونحو قولنا : توكلت على زيد، كأنك تحملُ ثقلك عليه، ومِن ثمّ صار بمعنى وثِقتَ ومنهِ قولنا في البارئ تعالى : توكلت على الله، واعتمدتُ عليه، يقول الرضي(٦٨٦هـ) : (ومنها : سِرْ على اسم الله، أي ملتزماً به، فكأنّه مركبٌ يحملك الى مقصودك، ومنه قولهم : مررتُ على زيد، لأنّه يفيد أن مرورك به كان من جهة الفوق بخلاف معنى: مررتُ به) (الاسترابادي، ٢٠٠٠، ٧٧/٦) فالشيخ قد أقسم على المصلين المخلوقين بمشيئة الله تعالى من صلصال وأراد بالحرية الكرم، والاسم الموصول (مَنْ) دالٌ على الجماعة، وهم أجنّه في بطون أمهاتهم ثم أبصروا النور وهم رضّع وقد رضعوا اللبن من أمهاتهم شيئاً بعد شيء وامتزج اللبن – مجازاً– بالدعوة الى نصرة عصبتهم. (الحريري، ١٩٨٠، ٢٨٧، الهامش). وحرف الجر (على)، قد أفاد معنى الاستعلاء المجازي؛ لأنّ المُقسم به أعلى شأناً من الشيخ وهم المصلّون. ومِن الأحرف المحذوفة (ما) المقدّرة في قوله: (إلاّ ما تكلّفَ لي لُيثّةً، واستمَعَ مِنّي نفثةً) والتقدير: (ما استمع ...) وما في هذا الموضع غير عاملة وهي الداخلة على الفعل، وإذا دخلت على الفعل الماضي أبقتهُ على مضّيهِ، وحين دخولها على الفعل المضارع تخلِّصَهُ للحال عند أغلب النحاة، وذهبَ ابن مالك الى أنّ (ما) قد تكونُ للمستقبل على قلّه ... (المرادي، ١٩٩٢، ٣٢٩) فالشيخ لا يزال يستعْطِفُ المصلّين ليقفوا وقفة للاستماع لمقالته – وإن كانت كلمة – وحتى لو كان ذلك تكلفا منهم وهو فعل الشيء على مشقة وعناء (الحريري، ١٩٨٠، الهامش : ٢٨٧) وممّا

حُذِفَ – من الأدواتِ – أيضاً (لمّا) والفعل (آنَسَ) المقدّرتين في قوله : (فلَمّا آنس حُسْنَ إنصاتِهم. ورزانةُ حَصَاتِهم) والتقدير : (وَلمّا آنَسَ رزانةَ حَصاتِهم) و (لمّا) هنا تعليقية وهي حرف وجود لوجود، ومذهب سيبويه أنها حرف، ومذهب أبي علي الفارسي أنها ظرف بمعنى حين، وقال ابن مالك : (إذا وليتها فعلٌ ماضٍ لفظاً ومعنى فهي بمعنى (إذ) فيه معنى الشرط، أو هي حرف يقتضي فيما مضى، وهي هنا وجوب لوجوب) (المرادي، ١٩٩٢، ٥٩٤) وجوابها: (قالَ ...) الوارد في المقامة آنفاً : فالشيخ استطاع اقناع المصلين بالجلوس حين آنسَ حُسنَ استماعهم وانصاتهم، والحريري كان دقيقاً في اختياره لفظة الانصات والمرادُ بها السكوت للاستماع للمتحدث قصد الاستماع، ومن الأدوات المحذوفة أيضاً ياء النداء في قوله: (يا أُولي الأبصار الرامقِة والبصائِرِ الرّائِقة) والتقدير: (ويا أولي البصائر الرائِقة) والياء أصلُ حروف النداء (لأنها داخلة في جميع وجوهِهِ، لأنّها تستعملُ للقريب والبعيد والمستيقظ والنائم والغافي والمقْبل) (ابن يعيش، ٢٠١٣، ٢١٦/٨) فبعد جلوس المصلين وانصاتهم لمقالة الشيخ بادرَ بمخاطبتهم ومناداتهم ونعتهم بصفات حميدة فَهُم أصحاب الأبصار التي ترمق الشيء وتنظر إليه بدقة متناهية وتديم النظر إليه. فضلاً عن كونهِم ذوي عقول وإدراك وفطنة ونظرة نافذة الى خفايا الأشياء البينّة التي يهتدي الإنسان بسببها، وهي آلة التمييز بين الحق والباطل، بصيرة صافية وهادئة وفاضلة. ومما حُذفِ من الأدوات (مِن) المقدّرة في قوله: (ولَقَدْ كنتُ واللهِ مِمَّن مَلَكَ وَمَالَ، وَوَلِيَ وآل، ورَفَدَ وأَنالَ، وَصلَ وَصَالَ) والتقدير: (وَمِمَّن وَلِيَ وآل، وَمِمَّن رَفَدَ وَأَنَالَ، وَمِمَّن وَصَلَ وَصَالَ) ودلالة حرف الجر (مِن) هنا التبعيض وعلامتها جواز الاستغناء عنها ببعض، إذ يصحّ قولنا: (... بعض مَنْ مَلَكَ وَمال، وبعض مَنْ وَلِيَ وآل ...) (المرادي، ١٩٩٢، ٣٠٩) والشيخ هنا بدأ يعدد سجاياه ومناقبه متفاخراً بذلك أمامَ المصليّن، فقد مَنّ اللهُ عليه وكان صاحب مال وآلت إليه الريادة فساسَ وأحسن السياسة فضلاً عن إعانة وسدُّ خلّةِ الآخرين ناهيك عن صولاته وهو يصلُ مَنْ لجأ إليه، ولَنا أنَ نقدّر فعلاً محذوفاً تأسيساً على المذكور وهو (تزَل) فضلاً عن أداة الجزم المحذوفة المقدّرة (لم) في قوله : (فَلَمْ تَزَل الجَوائِحُ تَسْحَتُ، والنوائِبُ تَنْحتُ) والتقدير: (فَلَمْ تزَلُ الجوائِحُ تَسْحتُ وَلَمْ تزلِ النوائِبُ تنحَتُ) (لم) هنا دخلت على الفعل المضارع وصرفت معناه الى المضيّ (المرادي، ١٩٩٢، ٢٦٧) ثمّ آل المآل بالشيخ من سعة في المآل وعيشٍ رغيد وجاه وسلطان إذ حَلّتْ به داهية اجتاحته في ماله فمحقت بركتُه، والنائبات – المصائب – أخذته شيئاً فشيئاً فلّمْ تُبقِ له شيئاً. وتكرر حذُف أداة الجزم في قوله : (ولم أقُمْ هذا المقَامَ الشائِنَ وأَكشفْ لكمْ الدفائِنَ) والتقدَير : (ولم أقُم هذا المقامَ الشائِنَ ولَمْ أَكشِفْ لكمُ الدفائِنَ) إنّ دلالة ومعنى الأداة (لم) المقدّر الجرّم والنفي والقلب، فالشيخُ نفى جازماً قيامه هذا المقام أو السلوك المخُزي المعيب فضلاً عن كشفه الخبايا والمستور مما يعُانيه –ومَن يُعيلهم– من

قلّة المال وما حلّ به من مصائب الدهر من جوعٍ ومحق بركةٍ بعد بحبوحة عيشٍ ووفرة مالٍ وحياةٍ مترفة. إنّ تعدّد الأحرف المحذوفة – من النص المقتبس من المقامة – واختلافها وتنوع دلالاتها قد ساهم في إثراء النص وجعله أكثر ترابطاً واتّساقاً، والمحذوف هنا هو من قبيل الحذف الذي أجازه منشئ النص استناداً الى قواعد وأقيسة البناء النحوي وليس خارجاً عنه ناهيك عن علم السامع والمتلقي به، وهذا السبب هو الذي يُمكّن المخاطب من استرجاع الكلام المحذوف لتكتمل عملية الفهم؛ لأنّ الدلالات تنشأ (بطريقة سياقية تتحكم فيها القرائن الحالية التي تُصاحب عملية الكلام الى جانب القرائن الخاصة بنظام اللغة التي يدركها المتلقي عبر معرفته بذلك النظام) (العموش، ٢٠٠٥، ٣٠) فالأحرف المحذوفة قائمة في ذهن السامع وساهمت في اكتمال بناء النص الذي لا يكتمل إلاّ بتعيين المحذوف وتقديرهُ في مكانه ومن دون ذلك يُصبح النص مفككاً لا روابط بين عناصره، (عبد الراضي، ٢٠١٠، ٩٧). إن وجود القرائن داخل النص تعدّ من أساسيات الحذف فمتى ما وُجدِ في النص ما يدلُّ على المحذوف الجاز حذفُهُ.

ومنه ما ورد في المقامة (الشَّتَويّة) قول الحريري: ((حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: عشَوْتُ في ليلَةٍ داجِيَةِ الظُّلَمِ، فاجِمَةِ اللِّمَمِ، إلى نارٍ تُضْرَمُ على علَمٍ، وتُخبِرُ عن كرَمٍ، وكانتْ ليلَةً جوُّها مَقرورٌ، وجَيْبُها مَزْرورٌ، ونجمُها مغْمومٌ، وغيمُها مرْكومٌ، وأنا فيها أصْرَدُ منْ عينِ الحِرْباء، والعَنْزِ الجَرْباء، فلمْ أزلْ أنُصّ عنْسي، وأقولُ: طوبى لكِ ولَنفْسي! إلى أن تبصّرَ المُوْقِدُ آلي، وتبيّنَ إرْقالي، فانحدَرَ يعْدو الجَمَزَى، ويُنشِدُ مُرتَجِزاً:

حُيّيتَ منْ خابِطِ ليْلٍ ساري * * * هَداهُ بلْ أهْداهُ ضوءُ النارِ

... ثمّ تلقّاني بمُحيّا حَييٍّ، وصافَحَني براحَةِ أريَحِيٍّ، واقْتادَني إلى بيتٍ عِشارُهُ تخورُ، وإعْشارُهُ تفورُ، وولائِدُهُ تمورُ، وموائِدُهُ تدورُ، وبأكْسارِهِ أضْيافٌ قدْ جلبَهُم جالِبي، وقُلّبوا في قالَبي، وهُمْ يجتَنونَ فاكِهةَ الشّتاء، ويمرَحونَ مرَحَ ذَوي الفَتاء، فأخذْتُ مأخذَهُمْ في الاصطِلاء...)) (الحريري، ١٩٨٠، ٣٨٢، ٣٨٤).

النص الوارد آنفاً ضمّ عدّة محذوفات سواء أحرف أو أسماء أو أفعال أو تراكيب نحوية، وعند إعادة صياغة النّصْ المقتبس من المقامة مع المضمرات المقدّرة يكون النص وفق الآتي: ((... عَشَوتُ في ليلةٍ دَاجيةِ الظُّلَم، في ليلةٍ فاجِمَة اللمَّم، عَشَوْتُ الى نارٍ تُضْرَمُ على عَلَم، والى نارٍ تُخْبُر عن كَرَمٍ، وكانت ليلَةً جَوُّهَا مَقْرُور وليلةٌ جَيبُها مزْرور وليلة نجمُهُا مَغمُومٌ، ولَيْلَةٌ غَيْمها مركوم، وليلةٌ أنا فيها أصْرَدُ مِنْ عينِ الحِرْباء، وليلّةٌ أنا فيها أصْرَدُ من العَنْزِ الجَرْباء، فَلَم أزَلْ أنُصُّ عنْسي وَلمْ أزل أقولُ : طُوبى لكِ ولِنَفسْي، الى أنْ تَبَصّرَ المؤقِدُ آلي، والى أن تَبَيّنَ إرقَالي، فَانْحدَرَ يَعدُو الجَمَزَى، ويُنشِدُ مُرْتَجِزاً ... ثمَّ تَلَقّاني بُمِحيّاً حَيّيٍّ، وصافحني بِراحةِ أريُحِيٍّ، واقتادني الى بَيْتٍ عِشَارُهُ تَخوُر، والى بيتٍ أعشارُهُ تفورُ،

والى بيتٍ وَلائِدُهُ تَمُور، والى بيتٍ موائِدُهُ تَدورُ، والى بيتٍ بأكسارِهِ أضْياقٌ قَدْ جَلَبَهُم جِالِبي، والى بيتٍ قَلَّبوا في قالبَي، وَهُم يَجتنونَ فاكِهةَ الشتاء، وَهُم يَمْرَحون مَرَحَ ذوَي الفَتاءِ، فأَخذتُ مَأخَذَهُمْ في الاصطِلاءِ)). أولّ ما يطالعنا من المحذوفات المضمرة والمقدّرة شبه الجملة (في ليلةٍ) فقد قصد ابن همام مبتغاهُ في ليلةٍ وصفها وصفاً دقيقاً، ليلةٌ مظلمة غابَ فيها القمر سوادُها كسواد الفحم أحاط الظلامُ بها من كلّ جانب، و(ليلة) وردت في المقامة منكَّرة ليست ليلةً بعينها، والنكرة تفيد العموم، والفاحمة شديدة السواد، اللَّمَم جمع لَمة وهي مدَة الشَعر التي ألمت بالمنكب أي قاربتهُ، وجَعَل للَّيلة لمة مجازاً وهو يريد شدة سوادها (الشريشي، ١٩٩٢، ٣١٤/٣) وممّا حُذِفَ من الأفعال – الفعل الماضي (عشى) المقدّر مع ضمير الرفع المتصّل تاء الفاعل، إرادة التخفيف وتفادي التكرار، والماضي يفيد تحقق وقوع الفعل، قَصَدَ ناراً ظاهرة للعيان مضرمة على جبل أو مكانٍ مرتفعٍ تلوحُ من بعيد، وصفة النار هذه كناية عن كرم صاحبها وسخائه ورغبتهِ في إكرام الضيف ولاسيما في جوف الليل. ومن الجمل المحذوفة شبه الجملة المؤلفّة من الجار والمجرور (الى نارٍ) وجاء الإضمارُ عن قصدٍ، لأن التكرار يبعثُ الملل في نفس المتلقي ويُفقِدُ العبارة قوتها البلاغية فهو يبحث عن نارٍ مستعرة على علوّ وتُبنئُ عن صاحبها ...، في ليلةٍ حالكة السواد. وتكرر حذف الليلة وجاءت مقدّرة في عدّة مواضع في نص الحريري – حيث ورد آنفاً في النص بعد تقدير المحذوف– هي ليلة جوَّها – ناحية سمائِها– شديد البرودة وقوله (جَيبُها مَزْرور) كناية عن كونها متغيمَة سحابها قد تكاثفَ، فلا تبصرُ العين فيها لشدة ظلامِها، مَزْرور مشدود بالأزرار وهي أطواق الثياب، جعلِ ليلتهُ ثوباً من الظلام والسحاب جعله مربوطاً مشدوداً مضموماً مستورٌ غيمها. (الشريشي، ١٩٩٢، ٣١٤/٣) ونجمها مستورٌ تحت الغيم مما زاد في ظلامها وقوله (غيمها مركوم) مقتبس من قوله تعالى: وَإِن يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ [الطور: ٤٤] سحاب مركوم : (بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدّقوا أنّه كسفٌ ساقطٌ للعذاب) (الزمخشري، ٢٠٠٥، ١٠٥٨) تلك الليلة غطّت الغيوم فيها الأُفُق غيمها طبقات بعضها فوق بعض، قوله : (وأنا فيها أصردُ مِن عَينُ الحرباء والعَنز الجَرْباء) هذان مثلان يُضربان بمن يبلغُ منه البرد مبلغاً ومردّ ذلك أنّ الحرباءَ تدورُ مع دوران الشمس أبداً وتستقبلها بعينها، أمّا العنزُ الجرباء فهي لا تدفأُ أبداً لقَلةِ شعرها. (الحريري، ١٩٨٠، ٣٨٣، الهامش) ومن الأفعال المضمرة والتي يدل قرينة السياق على حذفها الفعل المضارع الناقص (أزالُ) المسبوق بأداة النفي والجِزم والقلب (لم) قبل قوله (وأَقولُ) الدالّ على الاستمرارية والمستقبل القريب (الاسترابادي، ٢٠٠٠، ٢٠٧/٥) (أنصّ عنسي) (النصّ رفع السير) فهو يقطع الفَلوَات مجهداً ناقته الصلبة ومتعبها كي تُسرعَ سيرها ولسانُ حالهِ يقول : هنيئاً ومقاماً طيباً لناقتي ولي، اذ كان دعاؤه بـ (طوبى) وهي اسم للجنة وقيل هي شجرة فيها، حتى أبصَرَ

شخصيّاً وبنفسِهِ موقد النار، إرقالي: إسراعي في السير، الجَمَزى: عدوٌ شديد (الشريشي، ١٩٩٢، ٣/٣١٤) وبعد هذه الرحلة الشاقة في جوف تلك الليلة الحالكة السواد ... حصل المراد وحلّ ضيفاً على ذلك الكريم، الجَواد، فتلقاهُ بوجهٍ مبتسمٍ وصافحهُ براحةِ كفٍ كريم يهتزّ للكرم، وساقه الى بيتٍ؛ والعِشار النوق الحوامل، والأَعشار البرم. قوله (الى بيتٍ) شبه جملة (جار ومجرور) جاء مقدرّاً في أكثر من موضع وكما مرّ آنفاً في النص بعد تقدير المضمر المحذوف. نص الحريري – الوارد آنفاً – أرتكز على الحذف والإضمار وهو حذفٌ جائز فضلاً عن مراعاة المعنى والقياس النحوي مع ملمح بلاغي وتوافر قرائن لفظية تدل عليه وقد استوفى قول الحريري المقدّر (الى بيتٍ) هذه الضوابط، فالبيت هو مبتغى ابن هُمّام، بيتٌ ليس كبقية البيوت، لذا فالإضمارُ أبلغُ من الإظهارَ قوله: (ولا ئدهُ تمور) أي بيتٌ خدمُهُ تجيء وتذهب لخدمة الأضياف، تمور: تَسير وتختلف بالطعام، وتمور مقتبس من قوله تعالى: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً [الطور: ٩] (تمورُ السماء) (تضطرب وتجيء وتذهب، وقيل : المور تحرك في تموّج وهو المشي يُتردّد في عرض كالداغصة في الركبة غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب) (الزمخشري، ٢٠٠٥، ١٠٥٥). هو بيت فيه الموائد تدور وفيه أطايب الطعام مما أنعمه الله تعالى على عبادِهِ وسمّيت المائدة مائدة؛ لأنّها ميد بها صاحبها أي أعطيها وتفضل عليها بها، ذلك البيت. –الذي انتهى إليه ابن همّام– كان غايته في تلك الليلة الظلماء، وأكّد هذا المعنى ودلّ على ذلك المكان حرف الجر (إلى)، فأصل معناه هو انتهاء الغاية في الزمان والمكان (المرادي، ١٩٩٢، ٣٨٥) بيتٌ (باكسارِهِ) جمع الكسر وهو جانب البيت، ضيوف جمعهم ذلك المكان وتلك الليلة الشَتَوية الحالكة السواد شديدة البرد ... قوله : وَهم يجتنونَ فاكهة الشتاء، كناية عن الاصطلاء. واصطلاء مصدر للفعل اصطلى، والاصطلاء بالنار الاستدفاء بها. وممّا حُذِف لعلم المُخاطَب ضمير الغائب (هم) لجماعة الذكور المقدّر في قوله : (ويمرحون مَرَحَ ...).

نص الحريري المقتبس من المقامة الشتوية صوّر بدقة أجواء الشتاء الشديدة البرودة وتلك الليلة الحالكة السواد، فضلاً عن بيتٍ بسمات خاصة ... صاحبة كريم جواد ...

وقد أجاد الحريري في توظيف ظاهرة الحذف في العربية أحد قوانين اللغة المنتجة للملفوظات على مستوى الكلام مرتبطة بعناصر خارجة عنها (علم المخاطب) – في تحقيق الاتساق النصي – نصُّهُ كان نصّاً حيّاً وليس جامداً، نصٌّ ينماز بمراعاة المخاطب والاهتمام به ولاسيما الإيجاز والحذف إن كان المقام يقتضي الإيجاز، فالبنية النحوية في النص – مدار البحث – قادِرةٌ على استيعاب المقام وجوّ الخطاب الذي يرتكز على المتكلم والمُخَاطَب وما يحيط بالنص من ظروف، فالمحذوف من صيغ وتراكيب نحوية في النص آنف الذكر استند الى منهج اتساقي نصيّ مؤدّاه علم المخاطب وفهمِهِ والتقاء هذا الفهم مع البناء

التركيبي للنص الذي أُسِّس أصلاً من إشارات متواضع عليها، فجاء النصّ مختصراً استناداً الى علم المخاطب؛ لأنّ المتلقي (عنصر هام في صياغتهِ وتكوينهِ، إذ يكون مركز الاهتمام في عملية الإيجاز، ليتسنى التبليغ المناسب وإبراز المقصد المطلوب، ولهذا إنّ معرفة حال المخاطب وصلته بالكلام على وفق وروده، تسهم في التحليل النحوي الدقيق) (أبو المكارم، ٢٠٠٧م، ٦١).

نجد في نص الحريري آنف الذكر عدّة محذوفات سواء صيغ أو تراكيب وقد أسهمت في اتّساق النص، إذ دلّ سياق النص على الحذف، وتحقُّقت المرجعية بين ما حُذِفَ وبين ما هو مذكور ممَّا أدى الى ديمومة المعاني داخل النصّ على الرغم من عَدَم تكرار اللفظ. (فرج، ٢٠٠٧م، ٨٨، ٨٩) فصارت مرجعية الحذف مرجعية داخلية قبلية، إنّ الصيغ والتراكيب المحذوفة قد عملت على الربط والتماسك بين أجزاء النص وهي مرتبطة بالسابقة عليها، وهذا الحذف يجعل النّفسَ تدور في تصوّر الأشياء المحذوفة، فلا تُحذف كلمة، أو جملة أو عبارة إلاّ وكان حذفُها أبلغ وأكثر مساهمة في اتساق النص وترابط أجزائه.

المطلب الثاني

حذف الجمل

سبقت الإشارة الى تعدد المضمر والمحذوف في مقامات الحريري ما بين مفرد وجملة مع وجود قرينة تدلّ على المحذوف سواء أكانت معنوية أو مقامية، فالحذف يتم بإسقاط جزءٍ من الكلام أو كلّه لدليل يدلُّ عليه (الزركشي، ٢٠٠٧، ٥٤٣) .

وقد أشار ابن جني الى أنّ الحذفَ لا يقتصر على إسقاط كلمة من جملة معينة وإنّما يتعدى الى حذف الجملةِ بقوله : (قد حذفت العربُ الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة ولا يحذفُ من هذه الأُمور شيءٌ إلا بدليل بدلُّ عليهِ وإلاّ كان فيه ضربٌ من تكليفِ علمِ الغيب في معرفتهِ) (ابن جنّي، ٢٠٠٣، ١٤٠/٢) فمتى ما وُجِد في النصّ ما يَدلُّ على المحذوف ساغَ حذفُهُ. وتوافق علماء النص مع علماء العربية الأوائل على وجوب الدليل على النص المحذوف ولاسيما الجملة، وتازة حذف أكثر من جملة. (القفي، ٢٠٠٠، ١٩٦/٢) وهذا الحذف يُسهم في التماسك النصيّ.

ومما وردَّ في حذف الجملة ما جاء في المقامة الرَحَبيّة في قول الحريري : ((... ولكِنْ ولّني تلْقينَهُ اليَمينَ، ليَبينَ لكَ أيصْدُقُ أم يَمينُ؟ فقال لهُ: أنتَ المالِك لذلك، معَ وجْدِكَ المُتَهالِك على ابنِكِ الهالِك. فقال الشيخُ للغُلام: قُلْ: والذي زيّن الجِباهَ بالطُّرَرِ، والعُيونَ بالحَوَرِ، والحَواجِبَ بالبَلَجِ، والمباسمَ بالفلَجِ، والجُفونَ بالسّقَمِ، والأنوفَ بالشّمَمِ، والخُدودَ باللّهَبِ، والثّغورَ بالشّنَبِ، والبَنانَ بالتّرَفِ، والخُصورَ بالهيَفِ، إنّي ما قتَلْتُ ابْنَكَ سهْواً ولا عمْداً، ولا جعلْتُ هامَتَهُ لسَيْفي غِمْداً، وإلا فرَمى اللهُ جَفْني بالعمَشِ، وخدّي بالنّمَشِ، وطُرّتي

بـالجلَحِ، وطَلْعـي بـالبَلَحِ، ووَرْدَتـي بالبَهـارِ، ومِسْكَتي بالبُخـارِ، وبَـدْري بالمُحـاقِ، وفِضّـتي بـالاحْتِراقِ، وشُعاعي بـالإظْلامِ، ودَواتي بـالأقْلامِ. فقالَ الغُلامُ: الاصْطِلاءَ بالبَليّةِ ولا الإيلاءَ بهذِه الأَلِيّةِ والانقِيادَ للقَوَدِ ولا الحَلِفَ بما لمْ يحلِفْ بهِ أحدٌ)). (الحريري، ١٩٨٠، ٨٧، ٨٨).

تعددّت الجمل المضمرة والمحذوفة في النص الوارد آنفاً وعند تقدير المحذوف يكون التقدير: ((... ولكِنْ ولّني تلْقينَهُ اليَمينَ، ليَبينَ لكَ أيصْدُقُ أم يَمينُ؟ فقال لهُ: أنتَ المالِك لذلك، معَ وجْدِكَ المُتَهالِك على ابنِكِ الهالِك. فقال الشيخُ للغُلام: قُلْ والذي زيّنَ الجِباهَ بالطُّرَرِ، والّذي زينَ العُيونَ بالحَوَرِ، والّذي زيّنَ الحَواجِبَ بالبَلَجِ، والّذي زيّنَ المَبَاسِمَ بالفلَجِ، والّذي زيّنَ الجُفونَ بالسّقَمِ، والّذي زيّنَ الأنوفَ بالشّمَمِ، والّذي زيّنَ الخُدودَ باللّهَبِ، والّذي زيّنَ الثّغورَ بالشّنَبِ، والّذي زيّنَ البَنانَ بالتّرَفِ، والّذي زيّنَ الخُصورَ بالهيَفِ، إنّني ما قتَلْتُ ابْنَكَ سهْواً، ولا قتلت أبنكَ عمْداً، ولا جعلْتُ هامَتَهُ لسَيْفي غِمْداً، وإلا فرَمى اللهُ جَفْني بالعَمَشِ، ورَمَى الله خدّي بالنّمَشِ، ورَمَى الله طُرّتي بالجلَحِ، ورَمَى الله طَلْعي بالبَلَحِ، ورَمَى الله وَرْدَتي بالبَهارِ، ورَمَى الله مِسْكَتي بالبُخارِ، ورَمَى الله بَدْري بالمُحاقِ، ورَمَى الله فِضّتي بالاحْتِراقِ، ورَمَى الله شُعاعي بالإظْلامِ، ورَمَى الله دَواتي بالأقْلامِ. فقالَ الغُلامُ: الاصْطِلاءَ بالبَليّةِ ولا الإيلاءَ بهذِه الأَلِيّةِ والانقِيادَ للقَوَدِ ولا الحَلِفَ بما لمْ يحلِفْ بهِ أحدٌ)). أجاد الحريري في توظيفِهِ خاصيّة الحذف ولاسيما جملة الصلة والموصول، وقد اشترط النحاة في حذف التراكيب وجود دليل حالي أو مقالي يدلّ على معنى العنصر المحذوف من الجملة أو يدلّ على معنى الجملة المحذوفة إن شمِل الحذفُ الجملة برمتها. (حمودة، ١٩٩٨، ٩٠) وجملة صلة الاسم لا محلّ لها من الإعراب؛ لأنها لم نحلّ محلّ المفرد، وذلك هو الأصل في الجمل. (ابن هشام، ١٣٧٨هـ، ٥٠٠/٢) (السيوطي، ٢٠٠٨، ١٥/٢) وقد علّل الرضيّ وجوب كون الصلة جملة لأنّ شرط الموصول أن يُطلِقَهُ المتكلم على ما يعتقد كون المخاطَب يعرفُهُ وهو في حكم معلوم الحصول له إمّا مستمراً سواء كانت جملة الصلة فعليه نحو : باسمِ الله الذي يبقى ويفنى كُلَّ شيء، أو أسمية نحو : الذي هو باقٍ، أو أحد الأزمنة نَحو : الذي ضربني أو أضربُهُ أو الذي هو ضاربٌ. وقد يكون متعَلَقَةُ محكوماً عليه بحكمٍ معلوم حصولِهِ، مستمراً أو في أحد الأزمنة فعلية أو اسمية. ومنهُ قولنا : الله الذي يبقى ملكُه أو ملكُهُ باقٍ، وسعيدٌ الذي ضَربَ غُلامَهُ أو غُلامَهُ ضاربٌ، أو يعتقد أن المخاطبَ يعرفُه أو كون سببَهُ حكماً على شيء دائماً أو في بعض الأزمنة، نحو قولنا : الذي صديقُك هو، أو الذي أخوك غلامهُ، أو الذي مضروبك هو أو غلامُه. (الاسترآبادي، ٢٠٠٠، ٢٣٩/٣) فجملة (والذي زيّنَ) الفعلية المسبوقة بواو القسم استوفت شرط القياس النحوي المتمثل بعلم المتكلّم واعتقاده بمعرفة المُخاطب بالمحذوف وكونه في حكم معلوم الحصول له في أحد الأزمنة وجملة الصلة المقدّرة في النص قد تحققت في الزمن الماضي.

بدأ الشيخ عبارته بواو القسم وهو حرف عامل جارٌّ للاسمِ الظاهر دون المضمر وهو فرعٌ الياء و(ذهب كثير من النحويين الى أنّ الواو بدل من الباء؛ قالوا : لأنّها تشابهها مخرجاً ومعنىً؛ لأنهّما من الشفتين، والباء للإلصاق والواو للجمع. واستدلوا على ذلك بأنّ المضمر لا تدخل عليه الواو؛ لأنّ الإضمار يردُّ الأشياءَ الى أصولها) (المرادي، ١٩٩٢، ١٥٤) ومرادُ الشيخ أغلظُ الأيمان يمينٌ يتجلّى فيه عظمة الله تعالى وقدرته –عزّ شأنه– في خلْقِ الإنسان بأجمل صورة وهيأة، قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]التين:٤[

فضلاً عن ذكر صفات الحسن شيئاً بعد شيء ليُريَ الوالي ما يحملهُ الغلام من حُسنِ جمالِ وكمال صفاتٍ فيشتدّ حبّه فيه، ويذكر الشيخ لهذه الصفات تنبيه للوالي للنظر إليها، فوجدها كما يصف، فهو الآن في هذه الأيمان بجلو محاسنَ الغلام. والطّرر جمع طرّة وهي اعتدال الشعر على الجبهة، وقد أُستْعير هذا الوصف من طرّة الثوب، ثم تسمى الشعور الحسان طرراً، إذ يبقى ما بين شعر الناصية والحاجب نقياً والشعر عليها معتدل، والشّعر الحسن يزيدُ الوجهَ حُسناً وجمالاً، والحَوَرُ في العينين هو شدّة بياض بياض العين وخلوصها مع شدّة سواد الكحل أي سوادِ سوادها، وقد أكثر الشعراء من وصف ذلك، وقيل : الحور سعة العين وكبرُ المقلّة وكثرة البياض. والبَلَج بالحاجبين : أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشَعر أي انقطاع ما بينهما وعدم اتصالهما، وهو من علامات السيادة عند العرب، ويمتدحُ بهِ ويتيمّن بصاحبهِ، والعلج هو تباعد منابت الإسنان ما بين الثنايا والرباعيات، وقد فلجَ ثغرهُ فلجاً، وهو مستحبّ في الثغرِ. وسقم الجفون : الجفون هي أغطية العيون، وقد سميّت العينُ جفناً مجازاً، والسقم فتور العين، شمّ الأنوف : الشمَمْ هو ارتفاعٌ في لين الأنف، وهو من علامات الجمال والسؤدد والرفعة. اللهب : هو اشتعال النار بغير دُخان، وهو كناية عن حمرة الخدّ، فشبّه الحُمرةَ في الخَدّ وضياءهُ بحمرةِ النار (الشريشي، ١٩٩٢، ٢٧٧/١، ٢٨٠) الثغور جمع ثغر وهو السنّ، أما الشنب فهو دقة الأسنان وبريقها أو عذوبة الماء وبرودته. قوله (والبنانَ بالنَزَف) وصفَ الأصابع باللين والنعمة، وقوله (والخُصورِ بالهيف) هو وصف الخصر بالضمور والرقةِ والدقّة، (الشريشي، ١٩٩٢، ٢٨١/١، ٢٨٣) .

وبعد هذه الإيمان التي ألزَمَ الشيخُ بها الغلام طلب منه أن ينفي نفياً قاطعاً بتبرئة نفسه من قتل إبنه في قوله (ما قتلتُ أبنكَ)، سهواً أي خطأ وجاء النفي بحرف النفي (ما) وهو أكثر الحروف في العربية دوراً في النفي، وما النافية قسمان عاملة وغير عاملة والعاملة ما الحجازية التي ترفع الاسم وتنصب الخبر عند الحجازيين وفق شروط ... وأما غير العاملة فهي الداخلة على الفعل ومنه قوله : ما جاءَ زيدٌ، وما يقومُ سعيدٌ، وإذا دخلت على الفعل الماضي أبقتهُ على مُضيّه، وإذا دخلت على الفعل المضارع تخلّصُه للحال. (المرادي، ١٩٩٢، ٣٢٩).

وجاء النفي الآخر في المقامة بأداة النفي (لا) في قوله (ولا عمداً) والتقدير (ولا قتلتُ ابنكَ عَمداً) و(لا) حرفٌ عاملٌ وغيرُ عاملٍ، وأقسامهُ ثلاثة : لا النافية ولا الناهية، ولا الزائدة، و(لا) الواردة آنفاً نافية غير العاطفة والجوابية وهي تدخلُ على الأسماء والأفعال على حدٍّ سواء، والداخلة على الفعل فالغالب أن يكونَ مضارعاً وتُخلّصهُ للأستقبال، وقيل : أن ذلك غير لازم، فقد يكونُ النفيُ بها للحال، ودخول لا النافية على الماضي قليلٌ، والأكثرُ حينئذٍ مجيئها مكررة ومنه قوله تعالى: فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى [القيامة : ٣١] وجاءت غير مكررة في قوله تعالى: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ [البلد : ١١] قيل هي مكررة في المعنى، والمعنى (فلا اقتَحَمَ العَقَبَة) فلا فَكَّ رَقَبة، ولا أَطْعَمَ مسكيناً. (المرادي، ١٩٩٢، ٢٩٦ – ٢٩٨).

وجاء قول الحريري موافقاً للقياس النحوي في تكرار (لا) النافية الداخلة على الفعل الماضي بقوله : ((ولا جعلتُ هامته لسيفي غمداً) المعطوفة على الجملة السابقة. والجملة الفعلية المحذوفة من الفعل والفاعل والمفعول به (قتلْتُ ابنَكَ) حذفت طلباً للإيجاز فضلاً عن تركيز الانتباه على فعلة القتل لأهمية ذلك وضرورة الالتفات إليه من قبل السامع – الوالي – ومجيء الفعل المحذوف بصيغة الماضي قصد التحقيق.

ومن الجمل الفعلية المحذوفة في النص والمقدّرة (رمى اللهُ) ومنه الجملة المقدّرة (رمى اللهُ جفني بالعمش) أي دعا اللهُ عليه بالعمش وقد ذكر الحريري العمش والنمش وما بعده من البلايا، لأنّها أضداد لما سبق، وحال الإشارة لها يتبينّ من الغلام عند الوالي أضدادها فيزدادُ حُسناً، والعمش ضعفٌ في البصر، والنّمش داءٌ أخفى من البرش، وجملة (رمى الله) الفعلية مقدّرة قبل الجمل المعطوفة على قوله (وخدّي بالنَمَش) وانتهاءً بقوله (رمى الله دواتي بالأقلامِ) والجلح : الصَلع وهو انحسار شعرَ مَقْدَمِ الرأس، والبلح : كناية عن أخضرار الأسنان، إذ أعلتهُ خضرةً سمّي بلحاً، ووردتي : خَدّي، البهار : وردٌ أصْفرَ وهو نرجس المغرب، والورد أحْمر، فقد دعا له الشيخ بداءٍ يُذْهِبُ جمالَ وجهِهِ وتصَفرَّ حمزة خدّه. مسكتي : المرادُ بها رائحة الفحم العْطِرة والمسكة : أطيب العطر والبُخار : نتن الفم، فدعا له يتغيّر الرائحة. بَدْري : وَجّهي، المحاق : أن ينمحق ضوء القمر وزوال ضيائه ثلاث ليالٍ من آخر الشهر يمحق فيها القمر، فضتيّ المرادُ : بياض بشرَتِهِ، واحتراقُ الفضة : أسودادها، شعاعي : أي صباحة الوجه ووضاءته بسواد اللحيّة، والمعنى : أي عاجلني الله بالالتحاء، والمرادُ : أن يكسو بياض وجهه سواد الشعر، فيكسدُ ولا يلتفت إليه أحد، دواتي : المحبرة. (الشريشي، ١٩٩٢، ٢٨٤، ٢٨٥) و(مقامات الحريري، ١٩٨٠، ٨٨، الهامش) والجمل الفعلية المحذوفة المتتالية في النص أفادت الإيجاز وتجنب التكرار.

إن تعدّد الجمل المحذوفة في النص سواء الموصول وصلته –بعدَ واو القسم– أو الجمل الفعلية المحذوفة التي تلته قد ساهمت في ترابط النص واتّساقِهِ اعتماداً على المتلقي الذي يشارك في عملية التخاطب، إذ لم يخفَ هذا الأمر على النحويين الأوائل، فقد عدّوا المُخاطب القطب الذي يرتكز عليه الحذف والإضمار ((ويشبه علمُ السامع أن يكونَ مُسوّغاً ثابتاً للحذف وهو يجري في كلامِهم كالأصلِ الثابتِ المتواتر، وهم يصرحون بِهِ تصريحاً غيرَ مُلتَبس)) (الموسى، ٢٠٠٣، ١٢٨) قال سيبويه: (وإنما أضمروا ما كان يقعُ مظهراً استخفافاً، ولأنّ المخاطب يعلمُ ما يعني) (سيبويه، ٢٠٠٩، ٢٢٤/١) فعلم المخاطب هو علّه الإيجاز والاضمار والسعة والاستغناء، وهذه ظواهر في القول يخرج فيها الكلام – النص – على غير مقتضى الظاهر في البناء اللغوي ويؤدي الى بلوغ المعنى المراد. وقد أجاد الحريري في توظيف هذا المسلك اللغوي، فقد تحقق الاتّساق النصي للمقامة، وبناءُ على ذلك تم حذف جملة الموصول وصلته المقدّرة (والذي زيّن)، والجمل الفعلية المقدّرة (رمى اللهُ) التي تلتهُ وتجنّب التكرار وقصد الإيجاز والاختصار، واللغويون المعاصرون ولاسيما اللسانيون عدّوا الاختصار أحد قوانين التخاطب، ومقتضاه أن يُضمِر المُلقي في كلامه ما دلّت عليه القرائن سواء مقالية كانت أم مقامية، فالعربية تميلُ الى إيجاز الكلام اعتماداً على قدرة المتلقي على تأوّل ما أُضمِرَ من الكلام واستحضار أدلته حين دعت الى ذلك حاجة الفهم (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ١١٢). لقد تحقق الاتساق النصي للمقامة عن طريق العلاقة (المرجعية) بين المحذوف والمذكور وهي علاقة داخل النصّ وكانت علاقة قبلية – الجملة اللاحقة للجملة السابقة – إذ دلتّ قرينة المقال في سياقِهِ على الحذف الحاصل المذكور آنفاً، والاتّساق النصيّ لا يتحقّق إلاّ بوجود أكثر من جملة محذوفة فضلاً عن تكرار الجمل المحذوفة بعد إعادة تقدير المحذوف وهذه مهمة المتلقي الذي يعيدُ بناء النص، إنّ تحقق هذه المحاور تسهمُ في اتّساق النصّ وترابطهِ وقد تحققت جميعها في نص الحريري – مدار البحث – .

ومنهُ ما ورد في المقامة السَمَرْقندية قول الحريري: ((.. وأخذْتُ في غُسْلِ الجُمْعَةِ بالأثَرِ، ثمّ بادَرْتُ في هَيْئَاةِ الخاشعِ، إلى مسجِدِها الجامِعِ، لأَلْحَقَ بمَنْ يَقْرُبُ منَ الإمامِ، ويُقرّبُ أفضَلَ الأنْعامِ، فحَظيتُ بأنْ جلّيْتُ في الحَلبَةِ، وتخيّرْتُ المركَزَ لاستِماعِ الخُطبةِ، ولم يزَلِ النّاسُ يدخُلونَ في دينِ اللهِ أفْواجاً، ويرِدونَ فُرادَى وأزْواجاً، حتى إذا اكْتَظّ الجامِعُ بحفْلِهِ، وأظَلّ تَساوي الشّخْص وظِلّهِ، برزَ الخَطيبُ في أُهْبَتِهِ، مُتهادِياً خلْفَ عُصبَتِهِ، فارْتَقى في مِنبَرِ الدّعوةِ، إلى أن متَّلَ بالذّروَةِ، فسلّمَ مُشيراً باليَمينِ، ثم جلَسَ حتى خُتِمَ نظْمُ التأذينِ، ثمّ قامَ وقال: الحمدُ للهِ الممْدوحِ الأسْماء، المحْمودِ الآلاء، الواسعِ العَطاء، المدْعُوّ لحَسْمِ اللأواء، مالِكِ الأمَمِ، ومصوّرِ الرّمَمِ، وأهْلِ السّماحِ والكرَمِ، ومُهلِكِ عادٍ وإرَمَ، أدْرَكَ كلَّ سِرٍ عِلمُهُ،

ووَسِعَ كلَّ مُصِرٍّ حِلمُهُ، وعَمّ كلَّ عالَمٍ طَوْلُهُ، وهدّ كلَّ مارِدٍ حولُهُ، أحمَدُهُ حمْدَ موَحِّدٍ مُسلِمٍ، وأدعوهُ دُعاءَ مؤمِّلٍ مُسلِمٍ. وهوَ اللهُ لا إلهَ إلا هوَ الواحِدُ الأحَدُ، العادِلُ الصّمَدُ، لا ولَدَ لـه ولا والِد، ولا رِدْءَ معَـه ولا مُساعِد، أرسَلَ محمّداً للإسْلامِ مُمَهِّداً، وللمِلّةِ مُوطِّداً، ولأدِلّةِ الرّسُلِ مؤكِّداً، وللأسْوَدِ والأحْمَرِ مُسَدِّداً، وصَلَ الأرْحامَ، وعلّمَ الأحْكامَ، ووسَمَ الحَلالَ والحَرامَ، ورسَمَ الإحْـلالَ والإحْـرامَ، كـرّمَ اللهُ مَحَلَّـهُ، وَكَمّـلَ الصّـلاةَ والسّـلامَ لـهُ، ورحِـمَ آلَـهُ الكُرَمـاء، وأهلَـهُ الرُحَماء)). (الحريري، ١٩٨٠، ٢٣٥، ٢٣٧).

الجُمل المحذوفة والمقدّرة في نص الحريري تعدّدت، وحالَ تقدير المحذوف يكونُ النص وفق الآتـي: ((... وأخـذْتُ فـي غُسْلِ الجُمْعَـةِ بـالأثَرِ، ثـمّ بـادَرْتُ فـي هَيْأَةِ الخاشـعِ، إلـى مسجِدِها الجامِعِ، لأَلْحَقَ بمَنْ يَقْرُبُ منَ الإمامِ، ومَنْ يقرّبُ أفضَلَ الأنْعامِ، فحَظيتُ بأنْ جلّيْتُ في الحَلْبَةِ، وتخيّرْتُ المركَزَ لاستِماعِ الخُطبةِ، ولم يزَلِ النّاسُ يدخُلونَ في دينِ اللهِ أفْواجاً، ولَمْ يزلِ الناسُ يرِدونَ فُرادَى وأزْواجاً، حتى إذا اكْتَظّ الجامِعُ بظِلِّهِ، وحتّى إذا أظَلّ تَساوي الشّخْصِ وظِلّهِ، برزَ الخَطيبُ في أُهْبَتِهِ، بَرَزَ مُتهادِياً خلْفَ عُصبَتِهِ، فارْتَقى في مِنبَرِ الدّعوةِ، إلى أن مثَلَ بالذّروَةِ، فسلّمَ مُشيراً باليَمينِ، ثم جلَسَ حتى خُتِمَ نظْمُ التأذينِ، ثمّ قامَ وقال: الحمدُ للهِ الممْدوحِ الأسْماء، الحمدُ للهُ المحْمودِ الآلاء، الحمدُ للهُ الواسعِ العَطاء، الحمدُ للهُ المدْعُوّ لحَسْمِ الـلأواء، الحمدُ للهُ مالِكِ الأمَمِ، والحمدُ للهُ مصوّرِ الرّمَمِ، والحمدُ للهُ أهْلِ السّماحِ والكرَمِ، والحمدُ للهُ مُهلِكِ عادٍ وإرَمَ، الحمدُ للهُ الّذي أدْرَكَ كلَّ سِرٍ عِلمـهُ، والحمدُ للهُ الّذي وَسِعَ كلَّ مُصِرٍ حِلمُهُ، والحمدُ للهُ الّذي عَمّ كلَّ عالَمٍ طَوْلُهُ، والحمدُ للهُ الّذي هَدَّ كلَّ مارِدٍ حولُهُ، أحمَدُهُ حمْدَ موَحِّدٍ مُسلِمٍ، وأدعوهُ دُعاءَ مؤمِّلٍ مسَلِّمٍ. وهوَ اللهُ لا إلهَ إلا هوَ الواحِدُ الأحَدُ، وهوَ اللهُ لا إلـهَ إلا هوَ العادِلُ الصّمَدُ، وهوَ اللهُ لا إلـهَ إلا هوَ لا ولَدَ لـه ولا والِد، ولا رِدْءَ معَـه ولا مُساعِد معَـهُ، أرسَلَ محمّداً للإسْلامِ ممَهِّداً، وأرسَلَـهُ للمِلّةِ موطِّداً، وأَرسَلَـهُ لأدِلّةِ الرّسُلِ مؤكِّداً، وأرسَلَـهُ للأسْوَدِ والأحْمَرِ مُسَدِّداً، وصَلَ الأرْحامَ، وعلّمَ الأحْكامَ، ووسَمَ الحَلالَ والحَرامَ، ورسَمَ الإحْـلالَ والإحْـرامَ، كـرّمَ اللهُ محَلَّـهُ، وكَمّـلَ الصّـلاةَ والسّـلامَ لـهُ، ورحِـمَ آلَـهُ الكُرَماء، وَرَحِم أهلَهُ الرُحَماء)).

ضَمَّ نص الحريري اضماراً وحذفاً في مواضع عدّة منها أحرف واسماء وأفعال وجمل. ومِنَ الجُمَل المحذوفة والمقدّرة الجملُة الفعلية (لم يَزَلِ الناسُ) المؤلّفة من الفعل والفاعل. وهذا الحذف طلباً للإيجاز. وزمن الفعل الحاضر والمستقبل القريب؛ لأنّ المصلّين لازالوا يتوافدون على المسجد الجامع لأداء الصلاة مع وجود الدليل والقرينة (الاسترابادي، ٢٠٠٠، ٥/١٢) ومعنى مازال وأخواتهُ : كان دائماً. فقولنا : مازالَ زيدٌ أميراً، أي استمرّت الإمارة ودامت له مُذْ قَبلها واستأهلَ لها والمرادُ وقتُ البلوغ الذي أمكنهُ قيامُهُ بها فيه، لا قبل ذلك،

وإن كانت (زال) ماضية فيلزمها النفي بـ (مَا ولم) و (لا) في الدعاء ، وأن كانت (زال) مضارعة فيلزمها النفي بـ (مَا لا ولن) (الاسترابادي، ٢٠٠٠، ٢٠٧/٥) .

فالقياس النحوي يقتضي نفي زال بـ (لم) إن كانت في زمن ماضي على حين إنّ (زال). وردت في نص الحريري بصيغة المضارع وجاء نفيها بـ (لم).

ومعنى قوله : (تساوى الشخصُ وظلّه) أن يكونَ ذلك وسط النهار وهو وقت الظهيرة وصلاة الظهر. (الحريري، ١٩٨٠، ٢٣٦، الهامش) ،ومن الجمل الفعلية المقدّرة والمحذوفة المؤلفة من الفعل والفاعل (برز الخطيبُ) الوراد في النص– بعد تقدير المحذوف – آنفاً تفادياً للتكرار وطلباً للتحقيق. ومجيء الفعل في الزمن الماضي أرادة التحقيق. ومن الجمل الاسمية المضمرة والمحذوفة – ويدلّنا على الحذف السياق والقرينة – (الحمدُ لله) التي قُدّرت في نص الحريري – بعد تقدير المحذوف – إذ تكررت الجملة المحذوفة ستّ مرّات، ويبدو لي إنّ علّة حذف الجملة في هذا المقام –فضلاً عن تفادي التكرار وطلب الايجاز وعلم السامع– هي تعظيم وتقديس الذات الالهية المعظمة – تعالى الله علواً –كبيرا– وذكر جملة (الحمدُ لله) مرّة واحدة تكفي لبيان نعمه وآلائهِ على عبادة، ناهيك إنّ المذكور بعد الجملة المقدّرة هو إجلاء تلك النعم والعطايا والتأكيد على رحمته تعالى بعباده، وقد أجاد الحريري في الاكتفاء بذكر جملة (الحمد لله) مرّة واحدة وتفادي تكرارها لأنّ هذه النِعَم والعطايا –فضلاً عن الأسماء الحسنى الواردة في النص– لا تنسب لغير الله تعالى، فجاء الإضمار في العبارة تأكيداً لهذا الكرَم والجود الإلهي لعباده على حدّ سواء. وهذا الأسلوب البلاغي قد ورد في الذكر الحكيم ومنه قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [فاطر : ١] والتقدير: ((... الحمدُ لله جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ...)) والله أعلم. وقوله تعالى لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [القصص : ٧] والتقدير – والله أعلم – لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَله الحمد في الْآخِرَةِ. فقد حمد الخطيب الله تعالى على نعمهِ التي اسبغها على عباده وعطائه الواسع الذي لا ينتهي، الله الذي يقطُع ويرفع العُسر والشدّة عن عبادهِ مَالكُ كلَّ شيء الذي يُعيدُ العظامَ وهي رميم، قال تعالى : وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس : ٧٨، ٧٩] الرحيم الكريم، الله الذي أهلكَ الطغاة أهلك عاد وإرَم أبو عاد.

وفي موضع آخر من النص وردت عدّة جمل فعلية وفق السياقِ ذاتِهِ في ذكر آلاء ونعم الله سبحانه وتعالى، بيد أنها بدأت بفعل، ويصحّ تقدير جملة (الحمد لله الذي) في هذه المواضع بإضافة الاسم الموصول ، ومنه قول الحريري بعد تقدير الجملة الإسمية والاسم

الموصول ((الحمدُ لله الذي أدركَ كُلَّ سِرٍّ علْمُهُ ...)) وهذه الجملة الاسمية المقدّرة وردت في القرآن الكريم في مواضع عدة ومنه قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاً [الكهف : ١] والتقدير. – والله أعلم – ((وَالحمد لله الذي لَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاً)) وقوله تعالى : وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [الزمر : ٧٤] والقدير – والله أعلم – ((والحمدُ لله الذي أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء)). فضلاً عن آيات قرآنية أخرى وردت فيها قوله تعالى: (الحمدُ لله الذي) صريحة ومقدّرة لا يسع المقام لذكرها ونص الحريري يُثبت باليقين ملكتهُ اللغوية وبراعته في اقتباس النص القرآني وتوظيفهُ في مقاماته –ولاسيما النص المقتبس من المقامة السمرقندية – تصريحاً في قوله (ولم يزل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً) الوارد آنفاً، فقوله (يدخلون في دين اللهِ أفواجاً مقتبس من سورة النصر الآية الثانية : وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً وتقديراً واضماراً لعلم المخاطَبِ به وبلوغ العبارة المقدّرة والوقوف عليها، فهو قد أشار الى هذا الاقتباس القرآني تلميحاً وقد أجادَ وبرعَ في ذلك.

ومن الجمل الاسمية المحذوفة التي دلت عليها قرينة السياق قوله: ((وهو اللهُ لا إلهَ إلاّ هو)) المقدّرة في موضعين الأول: قبل قوله: (العادلُ الصمد) والثاني : (قبل قوله: لا وَلَد له ...) للتأكيد مبدأ التوحيد ووحدانية الباري عزَّ في علاه، واختيارُ الحريري لعبارة التوحيد ظاهرة ومقدّرة كان بقصد وعلم ودراية وهي مقتبسة من قوله تعالى هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ [الحشر : ٢٣] وأردف عبارة التوحيد بذكر أسماء الله الحُسنى وصفاته ومنها العدل، قال تعالى : إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل : ٩٠] ومنها الصمد في قوله تعالى : اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ [الإخلاص : ٢، ٣، ٤] والصمد هو الله الذي يصمدُ إليه الخلقُ كلُّهمُ لقضاء حوائجهمِ لا يستغنون عنه وهو الغنيّ عنهم (الزمخشري، ٢٠٠٥، ١٢٢٨) وقوله (لا ولد له ولا والد) مقبس من سورة الإخلاص، الواردة آنفاً، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً لأنّ الله خالقُ الأشياء وفاطرها، ولا مُعينَ ولا مساعد مَعَهُ ولا شركاء لأنّ الباري عزّوجلّ ما خلق السموات والأرض إلاّ لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة. (الزمخشري، ٢٠٠٥، ١٢٢٩). ومن الجمل الفعلية المضمرة المحذوفة – المكوّنة من الفعل والفاعل والمفعول جملة (أرسَلَهُ) التي وردت آنفاً في نص الحريري بعد تقدير المحذوف. وسبقت الإشارة الى أنّ علّة الحذف هو الإيجاز أو الاستغناء إذ يخرج كلام المُخاطب على غير مقتضى الظاهر مع بلوغ المعنى. فبعد أن تحدّث الخطيب – وهو على

المنبر – عن وحدانية الله تعالى وبيان صفات الخالق التي حوتها أسماؤُهُ الحُسنى، بدأ الحديث عن سيدنا محمد رسول الله (ص) وعن رسالة الإسلام التي حمل لواءها وختم الله تعالى بها الأديان السماوية ذلك الدين القيّم الصالح لكلّ زمانٍ ومكان ولكلّ الأمم والمِلَل والنِحَل. ومرادُ الحريري بالأسود والأحمر العرب والعجم وقيل : الإنس والجان (الحريري، ١٩٨٠، ٢٣٧، الهامش) إذ تكررت الجملة المقدّرة –التي تدلّ عليها قرينة السياق– ثلاث مرّات تأكيداً من صاحب النص على أهمية رسالة الإسلام ومنزلة رسول الله (ص) ومكانته ودوره في نشر رسالة السماء وبيان تعاليم الإسلام الحنيف من أحكام وعبادات ومعاملات. نص الحريري – آنف الذكر – استوفى الصناعة النحوية والأصول التي أقرّها النحاة الأوائل ولاسيما الحذف والتقدير وفق قرينة السياق مع وجود دليل يدلُّ عليه الذي سوّغ الحذف. النصّ آنف الذكر – ضمّ حذف عدّة جمل، منها الجمل الاسمية أو الفعلية التي ساهمت في ترابط أجزاء النص واتّساقِهِ، وهو ما ذهب إليه علماء النص، ولو تعمقنا في ظاهرة الحذف نجدها غير مرتبطة بالأصول النحوية بل تتعداها الى البنئ التخاطبية، إذ تكررت الجملة المحذوفة بعد إعادة المحذوف، وهذا عمل المتلقي الذي يُعيدُ بناء النص، وهو قارئ النص، الذي يستطيع الوصول الى تأويلات وتفسيرات ثَرّة للنص المختزل بالحذف وفق رؤية لسانية (وهو التحليل بالمقومات الذاتية وبالمقومات السياقية بما يجعله يجمع بين التحليل الفردي والتحليل النصّي ويتجاوز المعاني الظاهرة في النص الى إيحاءاته الكاشفة) (مفتاح، ١٩٩٤م، ١٥٩).

في النص مرجعية الحذف (مقالية قبلية داخلية) وهذا الحذف أفاد تماسك النص واتساقه، تمثل بحذف جملٍ عدّة، ولاسيما الجملة الإسمية (الحمد لله) و(الحمد لله الذي) والدليل على هاتين الجملتين هو جملة (الحمد لله) السابقة إذ تكررت بلفظها ومعناها، وقد أسهمت في اتّساق النص وجعل ذهن المتلقي يدور في تصوّر الأشياء المحذوفة، فلا تحذف كلمة أو جملة أو عبارة إلاّ وكان حذفها أبلغ وأكثر إسهاماً في اتساق النص وترابط أجزائِهِ. وفضلاً عن الجملة الاسمية الآنفة الذكر – المحذوفة المقدرة، فقد ضمّ النّص جملاً محذوفة ومقدّرة أخرى ساهمت بإيقاد ذهن القارئ لمعرفة المحذوف وملء تلك الثغرة التي خلّفها، إذ تكرّرت بلفظها فأصبحت مرجعية الحذف مرجعية قبلية داخلية. ومنها الجملة الاسمية : المقدّرة (وهو اللهُ لا إله إلاّ هو) ناهيك عن الجملة الفعلية : (أرسل محمداً) والتقدير (وأرسله). لقد اتسمّ نص الحريري الوارد آنفاً بكثرة الجمل المحذوفة والمقدّرة فرضت وجودها وقد توافرت قرائن لفظية دلّت عليها فضلاً عن بنى تخاطبية سعت بوسائل تعبيرية جميلة الى التأثير في ذهن المتلقي إبانةً وإبلاغاً وإفهاماً. وقد جاء الحذف في هاتين الجملتين – الواردتين آنفاً – مقترنة بالعطف ولاسيما العطف بـ (الواو). وقد حقّق ذلك سمة الاختصار والإيجاز في الكلام، وأسهم في تحقيق الاتّساق وفي زيادة المتعة بسبب استدلال الذهن

للمحذوف، مما يدفع السأم والملل عن القارئ فيبقى القارئ مشدوداً ومتفاعلاً مع النص. (عيد، ٢٠٠٩، ١٨٦)

الخاتمة

انتهى البحث إلى نتائج عدّة من أهمها :

١- أظهر الحريري – في مقاماته – قدرته على سبر أغوار الظواهر اللغوية والبيانية والبديعية ولاسيما في السجع والمعنى فضلاً عن التقديم والتأخير والحذف والذكر والتصريح والتلميح وقد رصد البحث ظاهرة الحذف .

٢- تعدَّدَ المحذوف في مقامات الحريري ما بين اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ وجملٍ وتراكيب غير تامّة المعنى كالجار والمجرور، وإنْ كان حذفُ المفرد هو الأكثر وروداً، وفي ذلك إثراءٌ للمعنى وخدمة النص.

٣- ارتكز الحذفُ في مقامات الحريري على مراعاة المعنى والقياس النحوي مستوفياً اشتراطات وضوابط النحويين في ذلك وظهر ذلك جليا في حذف التراكيب ووجود دليل يدلّ على معنى العنصر المحذوف.

٤- مقامات الحريري نص لغوي ضمّ أغلب عناصر الاتّساق النصيّ – والتماسك اللفظي، فالمقامة وحدة نصية نجدها ذات صلة بما توصلت إليها الدراسات اللغوية المعاصرة ومصدراً ثرّاً يغني البحث اللغوي في جوانب متعددة إذ تمّ توظيف ظاهرة الحذف في العربية أحد قوانين اللغة المنتجة للملفوظات في تحقيق الاتساق النصّي.

٥- استطاع الحريري أنْ يجعَلَ من مقاماته – نصوصاً لغوية عالية مفتوحة على النصوص اللغوية ومنها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأشعار العرب، والأمثال والحِكَم والأقوال المأثورة، إذ ساهمت هذه الاقباسات في إصابة المعنى وإثراء النصوص، ولم تخلُ مقامة من مقاماته من هذه الاقتباسات.

٦- كانت المرجعية في نصوص مقامات الحريري – مدار البحث – داخلية وغالباً جاء الدليل على العناصر المحذوفة مقالياً سابقا، وتارة جاء لاحقاً أو من السياق.

٧- أجاد الحريري في توظيف ظاهرة الحذف وربطها بعناصر خارجة عنها – علم المخاطب – ممّا ساهم في تحقيق الاتّساق النصي، إذ كانت نصوص مقاماته حيّة ولست جامدة فقد راعت المخاطَب واهتمت به. فالمحذوف من صيغ وتراكيب نحوية استند الى منهج سياقي نصّي مُؤدّاه علم المُخاطب وفهُمه ودوره في عملية التخاطب، والتقاء هذا الفهم مع البناء التركيبي للنص فجاء النصُّ مختصراً ؛ لأنّ المتلقي عنصر هام في صياغته، فعلم المخاطّب هو علّه الإيجاز والإضمار والسعة والاستغناء، ولم يخفَ هذا الأمر على النحويين الأوائل إذ عدّوه القطب الذي يرتكز عليه الحذف .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

ثبت المظان

١. القرآن الكريم
٢. ابن جني أبو الفتح عثمان (٢٠٠٨م) ، الخصائص ، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.
٣. ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، (٢٠١٣م) ، شرح المفصل، تحقيق، الاستاذ الدكتور ابراهيم محمد عبدالله، الطبعة الاولى ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
٤. أبو المكارم ، د علي ، (٢٠٠٧م) ، أصول التفكير النحوي، دار الغريب، القاهرة.
٥. الاستراباذي، رضى الدين محمد بن الحسن (٢٠٠٠م) ، شرح الرضي علي كافية ابن الحاجب، شرح وتحقيق الاستاذ الدكتور عبد العال سالم مكرم، الطبعة الاولى، عالم الكتب ، القاهرة.
٦. الانصاري، جمال الدين بن هشام (١٣٧٨هـ) ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، حققه وعلق عليه الدكتور مازن المبارك، محمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، الناشر: سيد الشهداء، قم.
٧. البطاشي، خليل بن ياسر، (٢٠١٣م) ، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، الطبعة الاولى، دار جرير، الاردن.
٨. الجرجاني، ابو بكر عبد القار بن عبد الرحمن بن محمد النحوي (١٩٩٢م)، كتاب دلائل الاعجاز، قرأهُ وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٩. الحريري، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري (١٩٨٠م) ، مقامات الحريري، (د.ط) ، دار صادر ، بيروت.
١٠. حسنين ، صلاح الدين صالح (د.ت) ، الدلالة والنحو، الطبعة الاولى، مكتبة الآداب، القاهرة.
١١. حمودة ، طاهر سليمان (١٩٩٨م) ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، (د.ط) ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية.
١٢. خطابي ، د. محمد (١٩٩١م) ، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، الطبعة الاولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.
١٣. دي بوجراند ، روبرت (١٩٩٨م) ، النص والخطاب والاجراء ، ترجمة: د. تمام حسان ، الطبعة الاولى، عالم الكتب ، بيروت.
١٤. الرماني ، أبو الحسين علي بن عيسى النحوي (٢٠٠٨م) ، معاني الحروف، حققه وخرج شواهده وعلق عليه : د. عبد الفتاح اسماعيل شبلي،(د.ط)، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، جدة.
١٥. الزركشي، بدر الدين أبي عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله (٢٠٠٦م) ، البرهان في علوم القرآن، قدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه ، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
١٦. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (٢٠٠٥م) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه ، خليل مأمون شيحا ، الطبعة الثانية، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

١٧. سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان (٢٠٠٩م) ، كتاب سيبويه ، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة الخاني، القاهرة، الشركة الدولية للطباعة.
١٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٢٠٠٩م) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
١٩. شبل ، د. عزة، (٢٠٠٧م) ، علم لغة النص النظرية والتطبيق، الطبعة الاولى، مكتبة الآداب، القاهرة.
٢٠. الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن القيسي النحوي (١٩٩٢م)، شرح مقامات الحريري، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت .
٢١. عبد الراضي ، أحمد محمد، (٢٠١٠م)، المعايير النصية في القرآن الكريم ، الطبعة الالى، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة.
٢٢. عبد الرحمن، د. طه، (١٩٨١م) ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.
٢٣. العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله سهل (٢٠٠٩م) ، الفروق اللغوية ، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. عبيد ، د. محمد عبد الباسط ، (٢٠٠٩م)، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، تقديم د. صلاح رزق، الطبعة الاولى، مكتبة الآداب، القاهرة.
٢٥. العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم الحسيني (١٤٢٣هـ) ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ، الطبعة الاولى، المكتبة العصرية، بيروت.
٢٦. فرج ، د. حسام أحمد (٢٠٠٧م) ، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري ، تقديم : سليمان العطار ، محمود فهمي الحجازي ،(د.ط) ، مكتبة الآداب ، القاهرة.
٢٧. الفقي، د. صبحي ابراهيم (٢٠٠٠م) ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقيه على السور المكية، الطبعة الاولى، دار قباء، القاهرة.
٢٨. قيّاس ، لينده (٢٠٠٩م) ، لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مقامات الهمداني انموذجا ، الطبقة الاولى ، مكتبة الآداب، القاهرة.
٢٩. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين (١٩٩٨م) ، الكليات ، معجم في المصطلحات والقروق اللغوية ، قابله على نسخة خطية واحدة للطبع ووضع فهارسه. د. عدنان درويش، محمد المصري ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان.
٣٠. المبرَّد ، أبو العباس محمد بن يزيد (٢٠١٠م) ، المقتضب ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة (د.ط) ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان.
٣١. المرادي، الحسن بن قاسم، (١٩٩٢م) ، الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
٣٢. مفتاح د. محمد ، (١٩٩٤م) ، التلقي والتأويل مقاربة نسقية ، الطبعة الاولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.
٣٣. المرسي نهاد (٢٠٠٣م) ، الصورة والصيرورة ، الطبعة الاولى، دار الشروق للنشر، عمّان.